مقالات حائرة

وقطوف فكرية

تأليف:

محمد بن فوزي الجبالي

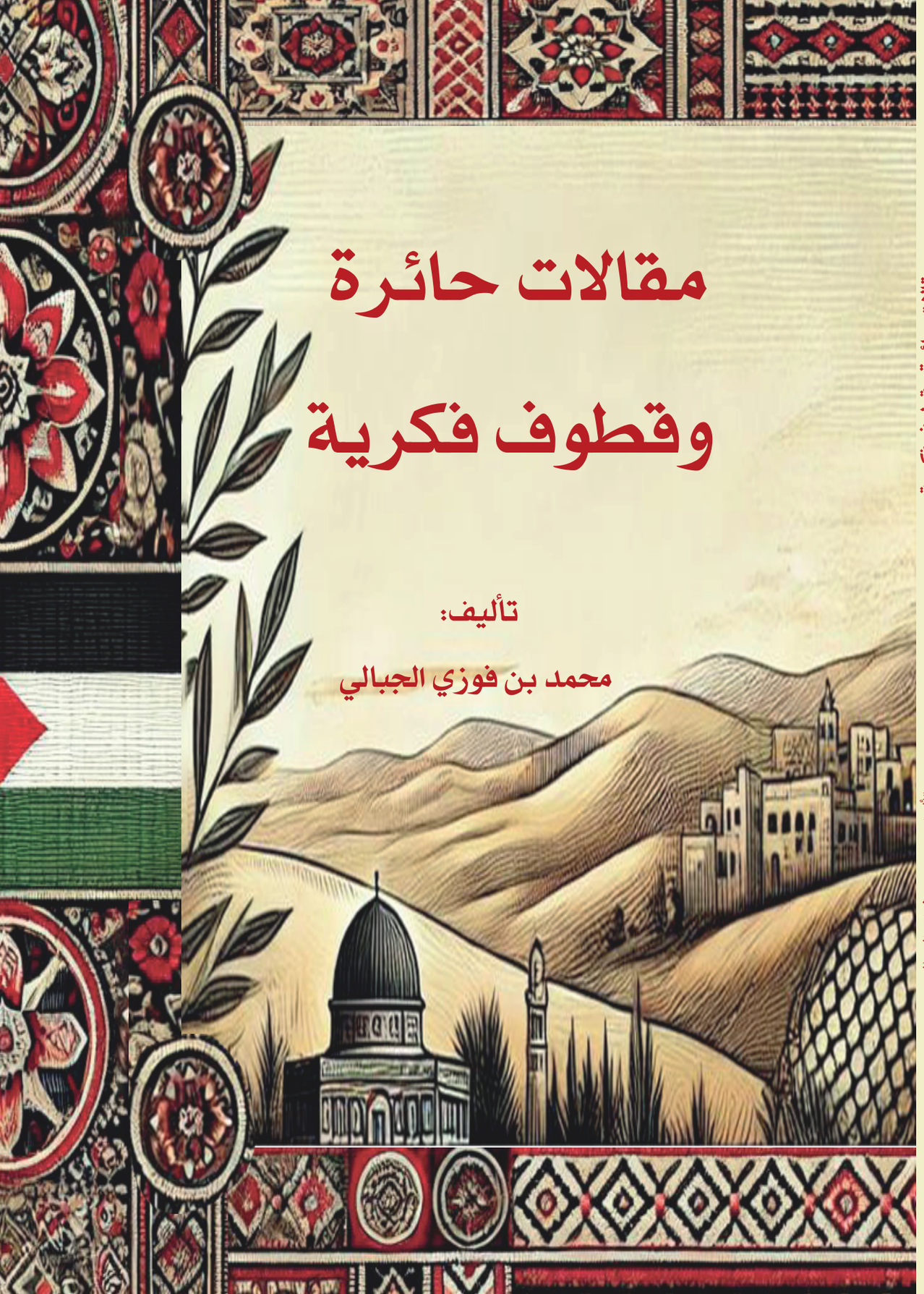

مقالات حائرة وقطوف فكرية

تأليف: محمد بن فوزي الجبالي

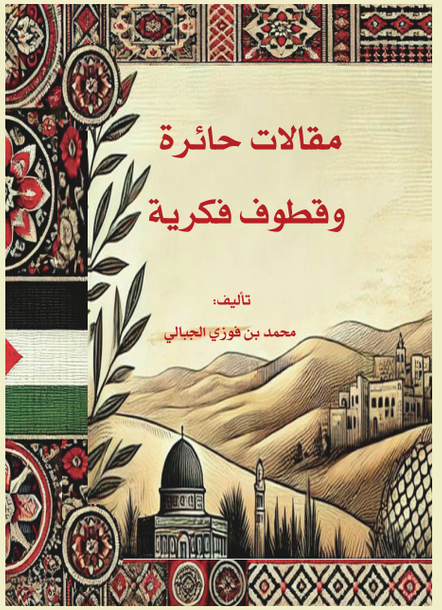

مقالات حائرة ... وقطوف فكرية

الطبعة الأولى

٢٠٢٤ مـ ١٤٤٦ هـ

مقالات حائرة

وقطوف فكرية

تأليف

محمد بن فوزي الجبالي

أهدي هذا الكتاب

إلى كل نقي النفس تقي القلب ..

إلى كل محبٍ للخير ومن كان من أهل الخير ..

إلى كل من كان على الحق أو نصر الحق ..

إلى غزة وأهلها ..

إلى أمي أَحبُ الناس إلى قلبي ..

مقالات حائرة وقطوف فكرية

طَليعةُ الكتاب

بسم الله خالق الإنسان معلِم القرآن الذي ما زال حكيماً عليمًا والصلاة والسلام على النبي العدنان الذي أُرسل مُبشراً ونذيرًا، أما بعد:

قد رسمنا على أوراق هذا الكتاب حروفاً وكلمات مما جال في الخاطر من مقالات وقطوف فكرية، أمّا حيرة المقالات فلأنَّكَ ترى في تعبير أكثرِها ما يُحرك المشاعر ويترك انطباع الحيرة عند ملامسة فَهم الواقع وربط الوقائع ولأنَّها أيضاً تتحرك من موضوعٍ لآخر يختلف تماماً عما يجاوره، مع ملاحظة وجود مقالات تكمل بعضها بعضاً لأنَّك ما إن ترحل عن مقال حتى يأتي طارئ أو حدث يجعلك تُكمل فكرتها، وقد أَخَذَتْ بعض المقالات والكثير من الكلمات من تأثر النفس شيئاً كثيراً خاصةً ما يتعلق بأحداث وقعت أثناء سكب الكلمات في فلسطين ومن تجارب واقع الحياة التي تترك أثرها على كل قلب نابض فكانت الأحداث وتواليها ترسم تلك المقدمة والخطوط لكتابة المقال المعني بالحدث.

وهناك أيضاً تلك الأحداث الاجتماعية والسلوكية والفكرية الجديدة التي ظهرت على الساحة المجتمعية والفكرية فكان لا بُدَّ لنا من التطرق إليها والتكلم عنها لما ظهر لنا من خطرها وأبعادِ دسها في الفكر العربي والإسلامي والثقافة المجتمعية.

وتجد هنا أيضاً بعض القطوف الفكرية التي هي ثمارٌ تعبيرية وقراءات إنسانية لم أُرِد أن تذهب سدى دون تدوينها فلعلها تجد هنا من يحنو عليها أو قارئاً يشرب منها على ظمأ.

لا أجد صراحةً باباً أضعُ فيه هذا الكتاب فهوَ جمعٌ لشذرات الفكر وبعض ما عايناه في مسارِ العُمر وتلخيص لفِهم ما في صفحات الأيام من تجارب وما وعيناهُ فيما قرأنا من كتاباتِ الغير، وما مقصدنا فيما كتبنا إلّا نشر الوعي وكل خير ورفع مستوى الفِكر، وما كان صائباً فمن الله سبحانه نشكرهُ عليه وما أخطأنا فمِن أنفسنا ونستغفر الله عليه.

هذا ومن باب الإشارة والتأكيد فإني قد بذلت كتبي لوجه الله تعالى فلا يوجد حقوق لجميع كتبي وهي متوافرة مجاناً على الشبكة العنكبوتية؛ فقد وُضعت لنشر الوعي ومراد الخير، ومن الله سبحانه نرجوا الأجر.

- كتاب: تسعة وتسعون باباً لفهم – لحب – دفاعاً عن الإسلام.
- كتاب: لماذا اخترنا الإسلام ولماذا يعادونه.
- كتابنا هذا: مقالات حائرة وقطوف فكرية.
- كتاب: موج الخاطر١. كتاب: و موج الخاطر٢. قريباً بإذن الله.
- كتاب الحداثيون أداة عدائية أم حالة مرضية. قريباً بإذن الله.
- التحكم بالعِوز. قريباً بإذن الله.

***

تعريفات في مقال

هذا مقال موجز للتعريف ببعض المصطلحات التي قد يقع عليها نظر القارئ أثناء الاستزادة العلمية والاستشفاء الفكري لبعض المواضيع، ولتحصيل عموم الفائدة لنا وللقارئ ارتأينا كتابة بعضها مما تناولناه فيما نثرناه في كتبنا من كلمات وقد توسطنا في تعريفها بالمختصر غير المُخِل، وإنَّ ذكرها هنا بالتعريف والدلالةِ عليها لا يعني احتكار وتفرد المعنى والتعريف لمقالنا هذا فقط ولكنه جانب من عدة جوانب تصلح لإيصال المعنى وكشف المبهم منها للقارئ ولمزيد الاستزادة فبطون الكتب مليئة بالدلالات الأوسع والأتم للمعنى من حيث جانب التناول ومسالك البحث المعرفي وهذه التعريفات استقيناها أثناءَ إبحارنا بين أمواج الأوراق وسطور التعلم وأثناء تنقيبنا لفهم مفردات بعض المقالات ومآلات التوجهات الفكرية والمعرفية، وتَعداد ما قد يُكتب أصعب من أن يستوعبه مقال أو حتى مقالات لكنها مفردات وددنا مشاركتها لعموم المنفعة...

العلم: هو ضد الجهل، أي إدراك الشيء على حقيقته، أي المعرفة.

الدين: مجموع المعتقدات والعقائد التي يؤمن بها الفرد ويتصرف في حياته وحركاته وفقاً لها.

العلم الشرعي: ما يلزم من العلوم لمعرفة الإنسان ربَّهُ ولعبادته وفقَ ما أمرَ سبحانه وتشمل العبادات والمعاملات وتُستسقى تلك العلوم من القرآن الكريم والسنة المشرفة، ومن تلك العلوم علوم القرآن والسنة والفقه والأصول وغيرها.

العقيدة الإسلامية: هي الاعتقاد الجازم باليقين والتسليم والإيمان لله عزَّ وَجل وما يجب له من التوحيد والعبادة والإيمان.

الإيمان: هو التصديق، بمعنى الإيمان الجازم بكل ما ورد عن الله سبحانه ورسوله الكريم مع الإقرار والطمأنينة.

الأصول في الإسلام: كتاب الله عزَّ وَجل المُحفوظ بأَمره وصحيح ما وردَ عن الرسول الكريم عليه السلام.

الفِطرة: مجموعة الاستعدادات والميول والغرائز التي تُولد مع الإنسان ودون تدخل لأحد في إيجادها، وتحمل من معانيها الإسلام، والفطرة قد تتغير لكنها لا تُلغى.

الفقه: ربط النص بالواقع لسد حاجة الإنسان من الشريعة.

علم الاجتماع: هو دراسة المجتمع وأنماط العلاقة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي وثقافة الحياة اليومية.

الثقافة الإسلامية: هي علم كُليات الإسلام في نُظُم الحياة كلها بترابطها وهي العلم بمنهج الإسلام الشمولي.

الثقافة العامة: مجموع المكتسبات المعرفية والمفاهيم التي يتحصل عليها الإنسان من خلال التعلم والتجربة، والثقافة على نوعيها هنا إسلامية أو عامة هي عنوان الشخصية وبروز لمقدارها في التداول العام والخاص للإنسان في حياته.

الدولة: هي مساحة جغرافية يعيش عليها مجموعة من السكان تنظمهم قوانين وأنظمة داخلية وخارجية على المستوى العام وقيم وأخلاق وعادات على المستوى الخاص.

المجتمع: مجموعة من الأفراد تشكل نظام ونسيج اجتماعي فيما بينها ويشكلون وحدة عامة ذات خصوصية مع وجود تفرد أحياناً وتنوع داخلي يتوازن مع العام وتكون هناك مشتركات بينهم ثقافية ولغوية واعتقادية وفكرية تتنوع حسب التشكيل المؤلِف لها.

القِيَّم: مجموعة من المبادئ والمقاييس المرشدة لسلوك الفرد وهي معيار هام لقياس الشخصية، والقيَّم الأوفى قَبولاً عندنا كمسلمين ما وافق الشريعة وحُسن الأخلاق.

الحضارة: هي تلك النواتج من العلوم والآداب والفنون والصناعات وطرق الحياة الاجتماعية والقِيَمِيَّة والشواهد العلمية والمادية القائمة على أُسس من المبادئ والقيم والتصورات الكلية للإنسان والحياة والكون.

المدنية: هي الجزء المُشاهد والتقدمية المادية في الحضارة ونراها جلياً في التقدم العمراني ووسائل الاستفادة المادية من المجهود البشري كالعلوم والتواصل التكنولوجي وغير ذلك.

وننوه هنا للفرق الجذري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية فالغربية لا تقوم على مبادئ وقيم وأخلاق مُثلى ونحن نعتقد كمفكرين إسلاميين إنَّ الوعاء الحافظ

للحضارة لم يُراعَ من جانب الغرب وأصبحت العلاقات المشوهة والنوازع الشاذة تأخذ مكاناً في التشريع عندهم وهذا من دلائل غياب الحضارة، لذلك نقول: هم يمتلكون ضوء المادية والمدنية والتي ستنطفئ لعدم قيامها على أُسس الحضارة الحق.

الأنا الاجتماعية: مقياس الإنسان لِنفسه، التعريف والدلالة للشخص على نفسه، ولها اعتبارات في القياس يحكمها الرضا عن النفس في دائرة المعرفة والارتقاء الأخلاقي والالتزام الديني والقيّمي وطبيعة العلاقة مع الآخر، ويتغير ذلك القياس حسب حالة التوازن والمقومات والمقامات التي يكون فيها الشخص.

الغزو الفكري: إغارة الأعداء على أُمَّة من الأمم بوسائل فكرية وثقافية وأيديولوجيا قاتمة يُقصد منها إضعاف تلك الأمة فكرياً وحضارياً وإيجاد هوة بين التراث والأصول وبين الأخذ عنها من قبل أفراد تلك الجماعة وزعزعة شخصيتها وتجهيزها لاستقبال الاحتلال التبعي والمادي والثقافي وقَبول ما ليس من داخل الأصول وجعله بديلاً يَلقى القبول.

ونحن -هُنا- همّنا الأكبر هو التصدي للغزو الفكري والتشويه العام لأُمّة الإسلام ومقدّراتها الفكرية وأصولها، ونرى أدوات الغزو الفكري جليةً في صورة المستشرقين وأحفادهم والحداثيين وأذنابهم والإسلاموفوبيا والإعلام المضاد وقنواتهم وغيرهم مِمن انضم لحملاتهم.

المنطق: آلة قانونية تعصِم مراعاتها الذهن عن الخطأ في التفكير، بمعنى تنظيم الفكر.

الاستشراق: هو الجهد في الجمع المعرفي من قبل الغرب عن الشرق عموماً وعن الإسلام خصوصاً، أي بمعنى هو دراسة البُنى التحتية للشرق بمجهود وفِكر غربي يشمل اللغات والعلوم والتراث وغيرها بما يُعطي الصورة المطلوبة عن الهدف، وهو على قسمين قسم بحثي منصف وهو قليله، وكثيرهُ للتمهيد للسيطرة ورسم الصورة العامة لمعرفة نقاط الضعف والقوة للمعركة القادمة بنظرهم.

أحفاد المستشرفين: وجوهٌ جديدة تلبِس لباس الشرق وتنتحل شخصية المسلم لكنها تحمل هم وفكر المستشرق فَتُنقِب في التراث عما يصلح بنظرهم لمرادهم لإكمال مسيرة أجدادهم خدمةً لغيرهم ممن أكنَّ العداء.

العلمانية: تحييد وإزاحة أي تدخل للسلطة الدينية على الأنظمة البشرية المعمول بها في الدولة، وينظر البعض على أنَّها فصل الدين عن الدولة والمعنى الأوسع كما قلنا هو تحييد أي تدخل يتعلق برجال الدين والوحي في الدولة يجعلها في موقع التأثير، فالعلمانية تميل في المقام الأول للحكم الإنساني المادي.

الحداثيون: أشخاص يتبنون توجه فكري قائم على ذلك المجهود العقلي والتغريبي والحركة النقدية التي تدعو إلى التجديد والثورة على التراث في هيئة حرية عقلية غير مُقَيَّدة ويقومون بوضع أطروحات بعيدة عن الارتباط الصحيح بالتراث و الأصول والثقافة الإسلامية السائدة المتواتر الأخذ بها في المجتمعات الإسلامية.

ومن أهداف الحداثة الأوضح هي محاولة جعل الأصول كنص قابل للنقد والتأويل وفق مقياس النظرة المادية والعقلية الحديثة غير الإسلامية.

والخلاصة فالحداثيون ظاهرة مَرَضِية وفيروس ثقافي يحاول أن يصيب الإدراكات ومفاهيم التعامل مع الأصول لإيجاد دين ممسوخ يتوافق مع ما هو خارج الإطار والفهم الإسلامي.

الإسلاموفوبيا: مصطلح مُستحدث وهو صناعة نفسية وأداة إعلامية عدائية أُستغِلَت بقصد مناوئة الإسلام، وأصل المعنى هو إيجاد حالة من الخوف والرِهاب من الإسلام، وبمعنى آخر هي تلك الحالة النفسية من الخوف من الإسلام التي أوجدها الإعلام والدول التي تناوئ وتعادي الإسلام عن طريق اختلاق صورة مفبركة مكذوبة يتم تمريرها للأفراد والمجتمعات للتأثير عليهم وإيجاد صورة ذهنية نمطية معينة مطلوبة.

نقد الأديان: هو انتقاد مفهوم أو صحة أو ممارسات ديانة معينة وأيضاً نقد تبعات تلك الديانة السياسية والاجتماعية.

الفكر الحر: وجهة نظر فلسفية ترى أنَّ الآراء ينبغي أن تُشكل على أساس العلم والمنطق والعقل ولا ينبغي لها أن تتأثر بسلطة أو عادات أو أي شكل من الدوغماتية وأصحابها يُسَمَّون مفكرون أحرار، وهذا التعريف مُعتَمَد لدى المعتقدات الثقافية غير الإسلامية.

الدوغماتية: التعصب لأفكار خاصة دينية أو مبادئ وعدم تقبل طرح الآخر أو تَداوُل النقاش حولها.

الشكوكية العلمية: هو ممارسة التشكيك في صحة ادعاءات تفتقر إلى الأدلة التجريبية، بمعنى اعتماد التجربة العلمية كحَكَم ومقياس للقَبول.

التأريخية: التاريخ تنحصر أحداثه ويتغير في دائرة حدوثه.

الأنسنة: هي إعادة التصوير وفق منطلق مراد الإنسان دون التبعية لجهة علوية أو وحي، بمعنى هي الدعوة لاستقلال العقل عن الوحي.

الفلسفة الوجودية: الإنسان سابق لجوهره، بمعنى أن الإنسان لا معنى لوجوده قبل وجوده وهو الذي يُوجِد المعنى والجوهر بعد وجوده أي هو المحور والأساس للوجود.

الفلسفة الجوهرية: الجوهر هو العنصر الذي يجعل العنصر نفسه، بمعنى غاية وهدف الإنسان قبل وجوده هي الجوهر وما يقوم عليه، وبمعنى أيضاً هو وجود شيء في لا موضوع، بمعنى وجود الشيء مستقلاً بذاته أَمّا إذا ارتبط بغيره فيعتبر عَرَض غير مستقل بذاته.

العدمية: لا معنى من البحث أو المعنى لأنَّه غير موجود.

العبثية: البحث عن المعنى في عالم لا معنى له.

ونضيف رأينا بعد تعريف بعض هذه الفلسفات كيف أنّ من خرج عن الصراط الحق والمنهج الحق اتخذ طريقاً مظلماً وتاه بين فلسفات سقيمة وأفكار مشوهة وفقد حقيقة المعنى للوجود ولماذا هو موجود وما بعد هذا الوجود، فهذه الفلسفات كلها تخلو من الإيمان الحق بل وجُلُّها يُنكر الحق، لذلك من اتَّبَعَ الحق وكان من أهل الإسلام أهل الحق لا يغرق في تلك المستنقعات الفكرية والتجارب الهالكة العقلية التي يتداولها من ليس له رصيد من إيمان ولا تسليم للرحمن، وللمزيد فليُنظر لكتابنا لماذا اخترنا الإسلام

ولماذا يعادونه في موضوع خلق الإنسان ما هوَ وما هي منزلته وبيان الغاية من خلق الإنسان وحقيقة الوجود والصورة الصحيحة لخلق الكِون وبدايةِ النشأة.

***

ستي بهية

هذه قصة في مقال تَروي أحداث واقعة اجتماعية حقيقية حدثت بين حفيد وجدته والشاهد عليها هو من واقعها وكتبها، وما مقصد هذا المقال وهذه الكلمات هي القصة ذاتها فقط بل المقصود رسم صورة لذلك الواقع الذي أصاب تلك الأُسر الفلسطينية التي ظُلمت وأُبعدت عن أراضيها، وليأخذ كل قارئ مما يأتِ ما أحب، ذكرى، عبرة، رؤية حقيقة ظُلم الذي أخذ ما لا يملك وأعطاه لمن لا يستحق، ولتتحرك مشاعرنا وأن لا ننسى أجمل مكان فلسطين.

يمر الإنسان بحوادث وأحداث في حياته تترك له ذكريات وكأنَّها نُقِشَت في صدره أو كقلادة يحملها لا ينزعها، وتلك الأحداث المؤثرة تترك ذلك التأثير إمّا لقوتها أو لتكرار استحضارها من سجل الذكريات والعقل الباطن، وقصتنا هذه حصلت معي أنا شخصياً، نعم فأنا الذي اسردها وأنا كاتبها ومن تأثرت بها بدايةً ولن ولم أنسَ تلك الدقائق التي كانت بيني وبين (جدتي) لأمي الحاجة بهية – فنحن في بلاد الشام نقول أحيانا بدل (جدتي) كلمة (ستي) – نعم قصتي مع (ستي بهية) وهاكم ما حدث معي وأترك لكم الحُكم ألها تأثير مثلما أدَّعي أم هي أبسط من ذلك.

في أواخر الثمانينات كنت شاباً بدأتُ أدرك معنى الحياة وأقتبس من هنا وهناك بعض الأحكام الاجتماعية والقدرات الأولية على اتخاذ القرارات أو التحركات الاجتماعية فقد بدأتُ انفصل عن طفولتي وبدأت ملامح كِبر السن ظاهرة علي من انشقاق الشارب وبعض الشعيرات على وجهي جعلتني فخوراً كأني أحمل وساماً

للرجولة وهذا ما اعتقد أنَّه حال أكثر الشباب ممن بدأت عليهم ملامح النضوج، -المهم - في تلك الفترة كنت أنا وأهلي نسكن بعيداً عن ستي الحاجة بهية ولكن ليست تلك المسافة التي تُعَدُّ سفراً أو إرهاقاً حين النية للزيارة أو توصيل بعض الأمور، وطالما كانت علاقتي مع (ستي) جميلة فقد كانت تستقبلني بابتسامة المحب وتقدم لي ما تخبئه من حلويات أو فواكه حينما يهل عليها أحد الزوار من أحفادها دوناً عن ثمار بعض الأشجار التي كانت في حديقة منزلها والتي لا زلت أتذكرها للآن وأهمها شجرة الأسكدنيا والتوت وشجرة التفاح ذات الحبات الصفراء الصغيرة، ما أجمل تلك الأيام التي كانت بلا مسؤولية ولا تفكير بالمستقبل والتي أخذت منا قطعاً من أعمارنا حينما كبرنا وحملناها معنا فأصبحت جزءًا من حياتنا، وسبحان الله فأنا الآن حينما اقتربت من الخمسين أدركت أفضل أن لا نفكر بالمستقبل كثيراً وأن لا نحمل همَّهُ وأن نتوكل على الله ونأمل الخير في كل جديد...

قبل سرد القصة لا بُد لنا من ذكر بعض التفاصيل لنعرف من هي (جدتي) من طرف أمي الحاجة بهية، إنَّها امرأة فلسطينية كانت متزوجة من رجل من منطقة قضاء يافا في فلسطين المحتلة اسمه موسى وعندما حصل الخُذلان وضاعت فلسطين هاجَرَت (جدتي) و(جدي) من بيتهم ومدينتهم إلى مدينة أريحا ومن ثم استقرت جدتي في عمان بعد أن فقدت أخبار (جدي)، فقد التحق بالمقاومة الفلسطينية بشكل غير رسمي وعاد أكثر من مرة مناوشاً لليهود في محيط المنطقة التي فيها بيته ومزارعه وأملاكه فقد كان (جدي) رجلاً ذو مكانة وتجارة معروفاً بين أقرانه وسكان قريته ومن يجاورها من القُرى،

ولكن ذهبَ كل ذلك بعد أن أخذ من لا يستحق كل شيء، وهاجرت العديد من العائلات الفلسطينية إلى بلدان المحيط والمخيمات ومنهم كانت (جدتي) بعد أن انقطعت أخبار جدي عنها فلا يوجد ما يؤكد ما حصل معه فالبعض يقول استشهد وآخرين يقولون أمسكهُ اليهود وأسروه، وبعد سنون مرت بصعوبة ظروفها وشدَّتِها ارتحلت جميلةُ قصتنا من أريحا إلى عمان واستقرت هناك مع خمس بنات هُنّ حصيلة ذلك الزواج الذي سُلبت منه الروح فقد سَلبها المعتدون مثلما سلبوا الأرض وسلبوا معها أخبار ذلك الزوج موسى...

في عمان في إحدى المخيمات استقرت الحاجة (بهية) وكان ذلك في بداية الخمسينيات وأُطلق على من هاجر في تلك الفترة اسم اللاجئين، وبدأت رحلة الكفاح مع تلك الأم الصغيرة مع بناتها الخمس وناضلت وجاهدت حتى ربتهم وكَبِرن ، ويا الله كم يشعر الناظر بالجمال والطمأنينة حينما ينظر لتلك الحاجة الكبيرة في السن التي ذَبُلت زهرة حياتها من أجل بناتها ورفضت الزواج مجدداً لتحافظ على كرامة بناتها من أن يمسهن شيء، وتوالت الأيام والسنوات وتزوجت البنات وكنت أنا حفيداً لها وكم كنت أشعر بالمحبة حينما أزورها صغيراً مع أمي أو كبيراً لوحدي فقد تعلمت منها أخلاقاً ورِقَّةً لم أتعلمها إلّا منها، ومن تلك الجمالات التي غرستها فيَّ عندما كنت صغيراً لم أتعدَ الثامنة أو التاسعة صِدق التعامل فإنَّها كانت تقول لي أجمع التوت واذهب للسوق القريب وبِعه وسوف أعطيك النصف، فتجمع لي ما جمعناه سوياً في إناء واحد وأذهب وأبيعه للمارة في سوق الوحدات فأُحضر ديناراً أو قريباً من ذلك وَوالله كانت تقسمهم معي

مناصفةً وهذا كان عائداً كبيراً لي آنذاك يتعدى مصروفي بأضعاف، فرحمك الله يا (ستي) وأسكنك فسيح جناته...

القصة... زرت (ستي) ذات مرة وعندما فتحت لي الباب فإذ بها تلبس ثوب كأنَّهُ ثوب زفاف قديم وتضع معهُ بعض المكياج البسيط، ذُهلت صراحةً ودخلت وأنا أنظر إليها وأتعجب وانظر لثوبها الأبيض الفلاحي الذي خيط باليد وعليه نقشات أحيكت يدوياً بالحرير والتي لا يعرفها كثير من أبناء جيلنا الآن، ومع اندهاشي كيف إنّ امرأة اقتربت من السبعين تلبس ثوباً كهذا وتضع بعض المساحيق!!

فسألتها: ما هذا يا (ستي)؟

قالت: هذا ثوب زفافي فأنا انتظر موسى زوجي!!

اغرورقت عيناي...

قلت: سيدي موسى، كيف يا (ستي)؟

قالت: سمعت في الراديو أن اليهود سيطلقون أسرى لديهم تم اعتقالهم من قديم وليسوا معروفين وأنا حاسة موسى معهم...!!

قلت لها: يا رب، أنا لم أرَ سيدي ...إن شاء الله يرجع...

توقف المشهد وأنا عاجز عن الكلام معها حول الموضوع ولا أريد أن أصدِمها بأن أقطع عليها أملاً تنتظره منذ أربعين سنة، وبقيت أتأمل وصغر سني ألجمني أن أُكلمها أو أن أتوسع معها في الحديث وتركتها تستمع للإذاعة على برنامج إذاعي لن

أنساه تقدمهُ كوثر النشاشيبي اسمه (وسلامي لكم) وهو حلقة وصل وتهنئة بين الأردن وفلسطين معروف لمن عاصر الأحداث القديمة...

وانسحبت ورجعت لبيتي، وحتى الآن كلما أتذكر قصتي مع ستي (بهية) وتفاصيلها تترقرق الدمعة من تلك القصة وقد مر عليها عشرات السنين...

وكيف أنَّ امرأةً قد تجاوزت العقد السادس لا يزال الحب والإخلاص يحرك شوقها نحو زوجها الغائب الذي تنتظره من قديم وتتأمل معه رجوع فارسها، رحمك الله يا (ستي) وجمعك مع أحبائك في جنات النعيم.

***

الأب

كل الديون يتم تسديدها إلّا ديون الآباء فمعادن الأرض ونفيس أحجارها يخرج من باطنها ويعود يوماً إليها أمّا دَينُ الآباء فلا؛ فهم يُنفِقون من حياتهم ليعطوا الأبناء، يتعبون ويتصببون عرقاً لجلب رزق من يعيلون، يكابدون هذه الدنيا ويغترفوا من مرارتها وتجاربها وتَتعبُ أجسادهم لرعاية أطفالهم، ترَ الأب وقد بلغ من التعب أو التفكير ما يرهق الجبال العالية لكنه يبتسم حين ينتهي من عمل يومه أو صبرِه على وضعِه لأنَّه يحمل ما يحب لمن يحب في بيته من صغار يراهم كل جميل ومنبع الأمل وسبب الاستمرار في التقديم عن طيب خاطر.

يعلم الأب أنَّ الرزق بيد الله سبحانه وأن الله تعالى في علياءه قدَّر الأمر لكنه يحاول ما يستطيع لجلب ذلك إليهم شاكراً ربه سبحانه على نعمائه وطالباً مزيد فضله وإحسانه، عندما كنا صغاراً لم نكن نعلم ما هو الأب وما هذا الدور الذي يمثله وكيف أنَ الأيام تنحت من جسمه وتأخذ من عمره ليعطينا، كانت حياتنا بسيطة وأفكارنا صغيرة تناسب أعمارنا فلم نكن نعرف المسؤولية وماذا يعني أن يطلب الولد من والده شيئاً ويلح عليه ويرغب فيه كأنَّ الدنيا قد تعلقت بهذا الطلب البسيط فعقلانية الطفل ترتبط برغبته ولا تتعدى كثيراً التفكير بها.

وعندما كبرنا ودارت رَحى الأيام وتقدم الزمان وأصبحنا نحمل دور الأب عرفنا معنى المسؤولية وعرفنا ذلك الشعور الذي اختلج في مشاعر آبائنا حينما كُنا نطلب شيئاً، وكيف أنَّ الأب يفكر في بيته فيهم لِخَيرِهم وهو بينهم، وإن غاب عنهم يدعو لهم بالحفظ

والسعادة ويَكِد ليَجد لهم ما يسعدهم، وعرفنا حينما كبرنا معنى أنَّ الإنسان لا يحب لشخص أن يتقدمه أو أن يكون بالعامية أحسن منه سوى ولده.

سبحان الله حينما فقدت والدي على كِبر سني قفزت إلى مرحلة جديدة فقد أصبحت كبيراً في السن مرةً واحدة شعرت بأن طفولتي اختفت مع ذهاب أبي، وكم تمنيت وتمنى معي كل إبن أن لو لازمت أبي أكثر وأحببته أكثر وشاركته جمال الحياة أكثر، أجلس مع نفسي كثيراً أتفكر في هذه الأدوار التي تتكرر وأَنظُر لأطفالي وهم يكبرون فَأتذكر طفولتي ومشاعر طفولتي وحرص أبي علينا وربما مراجعته لنا ومنعِنا من عمل بعض الأمور ولم أكن أَعلم أَنَّهُ يحمينا و يقدم أطفاله على نفسه فعقولنا كأطفال محدودة على أن تدرك ذلك الدور أو أن تتقمصهُ مشاركةً أو توزيع مسؤولية، فالطفل طفل والوالد والد.

رحمك الله يا والدي ورحم كلَ والد زرع الخير في أولاده وأنفق من حياته ليصرف أولاده منها أمانيهم وتقدم أعمارهم للدور الجديد، رزقنا الله سبحانه بِرَّهُم في حياتهم وبعد مماتهم وجمعنا معهم في خير مقام.

***

لو عادت بنا الأيام

كثيراً ما يجول في خواطر الناس أن لو عادت بهم الأيام وكذلك أنا ولا أُنكر ذلك ولا أهرب من الاعتراف به ليس كذنب لكنه عند البعض قد يعتبر رجوع أو تقصير، والحقيقة أن الكمال في حياة البشر ليس موجوداً وهذه الأمنية الخيالية تراود الكثير لانَّ التجارب والإطلاع على النتائج بعد إبحار العمر في سنوات الحياة يُعطي تلك الخبرة والإدراك على معرفة حقيقة بعض الأمور فتتعدل معها تلقائياً تلك الأولوية لها أو حتى حجم التقدير والمكان الذي أخذت فيه حيزاً في أيام العمر وساعاته وفي انفعالات النفس وتأثرها، المهم الحقيقة المطلقة والثابت الإيماني أنَّ أقدار الله سبحانه واقعة وما قُدِّرَ أن يصيبنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأَنا لم يكن ليصيبنا، وإنَّما تلك الأمنية الطفولية تعبير عن البحث عن الأفضل وإعمار القلب بكل جميل وزراعة كل خير وجمال في بساتين المعرفة وحدائق الغير، فالإنسان الراقي ذو القلب السليم يود مشاركة الخيرية في كل تداول وَبَذل الجهد مع كل تناول، يَودُّ السليم إيماناً النقيُ فطرةً الأبيضُ قلباً لو قدَّم لمن أحبهم وفقدهم أكثر وأن يترك ذكريات تُشرقُ بالمحبة والرضا والإحسان أكثر.

ذلك هو الإنسان السوي الذي إن ندم فإنَّما يندم على التقصير في تحسين علاقته مع ربه وإصلاح نفسه والاستفادة والإفادة في كل نافع مع غيرِه، ينظر آمِلاً لتلك الأمنية لأنَّهُ عرف أنَّ الرحيلَ يوماً مؤكد وأن الحساب لا بُدَ واقع فخاف أن تلاحقهُ تبِعات ما فعل إن جانب فيها الصواب وهذا من الرجوع الآمن والتوبة والارتقاء للأفضل وما تلك النفس اللوامة هنا إلّا توهج للفطرة النقية وتحرك للخيرية وشوق للاستزادة من نور كل جميل،

وكم منا من ذهب عنه رفيق أو عزيز وتمنى أن لو عادت به الأيام فَعبَّر له عن خالص المحبة وعلو الوفاء وهذه من صفات القلوب التقية والنفوس النقية، أمّا من كان داكن الداخل فلا مكان له على أوراقنا البيضاء ولا في أمنياتنا البريئة..... فتأمل.

***

حوار مع القلم

طاف عقلي وسرحت أفكاري وناظرت قلمي طويلاً هذا اليوم، فقلت له وأنا أُحركه كأنَّني استجلب منه الإجابة: مالكَ أيُّها القلم قد توقفت عن الكتابة وملامسة الأوراق كما كنت أعهدك؟

هل أصابك الملل؟

أم تخاف مما قد يصيبك إن تكلمت عن هذا الواقع الذي نعاصره؟

ثم خاطبتهُ مجدداً -وأنا استغرب من نفسي كيف أُخاطب جماداً- فقال لي بلسان الحال وكأنني أسمعه بلا صوت وأقرأ ما يجول في أحباره بلا حروف سؤالك سيدي لا تسألني إياه بل وَجِههُ لنفسك فما أنا إلّا أداة تتحرك بين أصابعك وترسم ما يجول بخاطرك إن نَشَطتَ فِكراً أو عَقَلتَ أمراً تأمرني فأتحرك فأرسم لكَ صورة ما تريد على أوراقك، وكيف تسألني وتعتقد أنَ فيَّ شعوراً أو إدراكاً لما حولي ألستُ لسانَ تعبيرك ودواة أحاسيسك، ثم تسألني هل أصابني الملل؟

أي ملل هذا! ونحن نتحرك بمشاعر الغير ونقف عند توقفهم نحن لسنا سوى ناقلين لأفكار آسرينا ولو كنا نملك بعض الأحاسيس مثلما أودت بك مخيلتك لرُبَّما رأيت منا دموعاً بدلاً من قطرات الحبر التي نسكبها على أوراق التعبير ولرُبَّما أبينا أن نريق أحبارنا وهي عنوان حياتنا على ما لا يمثل حقيقة أو يكون صدقاً أو ما فيه نفعاً، فيا سيدي نحن أقلام نعود لمالكينا إن أحسنوا نُحسن وإن أساءوا نسيء لكن ليس علينا مثلكم حساب.

استيقظت من هذه المحادثة مع قلمي وفهمت كيف أن اليد أداةُ العقل للتعبير وأنَّ القلم وسيلة اليد للتحرير وإنَّ نشاط الإنسان يحرك القلم حتى إنَّ عند البعض تسبق الكلمات قدرة القلم على رسمها، وعلى العكس في الجهة المقابلة فإن أصاب الإنسان حالةٌ من الحيرة أو صَدَمَهُ الواقع أحياناً فجميع أقلام الدنيا وأحبارها لا تساعدهُ على خط كلمات ولا حتى بعضَ حروف.

***

حقيقة العلاج بالطاقة ومشروعيتها

انتشر في الآونة الأخيرة وبشكل مطَّرِد وواسع إعلامياً وتسويقياً التعامل بالعلاج بالطاقة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وأصبح الأمر يأخذ منحى دعائي وتسويقي واسع وتبناه بعض الإعلاميين والقنوات وأصبحَ يُستضاف من هم يُعدّون من خبراء العلاج بالطاقة لإبداء آرائهم وبث مفاهيمهم في مسألة العلاج بالطاقة وكيف يُستفاد منها والترويج الضمني لها، فكان هنا لا بد من التطرق لهذا الموضوع وسَكب الخاطر في هذا المقال لتوضيح مسألة العلاج بالطاقة التي ازداد خطرها لسعة التساؤل والتعامل معها بعد أن أضافَ بعض المتكسبين منها النكهة والغلاف الشرعي بزعمهم فزيّنوا ما لا يصحُ أكثره وأنَّه علمٌ جديد وعلاجٌ جديد له منافع ومكتسبات مادية ومعنوية وأنَّ هذا الجديد اكتشافٌ لا بُد الأخذ به على نطاق أوسع واعتماده.

والحقيقة غير ذلك، وإنَّما رداً شاملاً قبل الخوض في غِمار هذا المقال تأكيد أنَّه نوعٌ من علوم الشر وخليطٌ بين بعض المعتقدات الشرقية القديمة والديانات الآسيوية وما لا يرتبط بنا نحن كمسلمين تم وضعهُ في قالب الطب البديل وسُوِّقَ له على شكل دورات تنمية الذات والعلاج باللمس والطاقة والاستشفاء الذاتي وحلول الأفكار والحلول الذاتية للغنى والسعادة وأسرار الأحجار الكريمة وانبعاثات الطاقة الداخلية والاستفادة من الطاقة المحيطة وطاقة الأشياء والطاقة الكلية الكونية والتخلص من الطاقات السلبية وغير ذلك مما اتخذه هؤلاء ممن سلكوا هذا المسار وفتحوا لأنفسهم عيادة التكسب بما سبق وذلك إمَّا بجعله بصورته المنقولة الأصلية عن القديم والآسيويين أو ممن أضاف

عليه اللمسة الغربية بعد اعتمادها من بعضهم هناك، وهناك الذين أضافوا كما قلنا صِبغةً شرعية وأدلةً وهمية أُلصقت بهذا الجديد لتكون مُتقبَّلةً عند المجتمعات العربية والإسلامية لِعلمِهم بنفور الناس مما يتعارض مع الشريعة ويخالف التوحيد وحُب الناس لما لهُ جانب شرعي مؤيِد وهم لم يكونوا منصفين في ذلك بل أضافوا مختلقين ما لا يصح الاستدلال به لتسويق جديدهم، ولِهذا فليُعلم أنَّ هذا الشر الجديد له خطورة فيما يتعلق بالمعتقد والإيمان العام الصحيح لوجود تعارض بين ما يدعوا إليه الإيمان الصحيح في مسألة الإيمان والنفع والتوكل والتوحيد الخالص وبين ما يدعو إليه.

هذا الجديد من الاندماج مع طاقة الكون وتنوعات الطاقة للأشياء وأنَّها ذات دلالة وتأثير نفعي وأنَّ التعامل معها بطريقة معينة يجلب أو يدفع، وهذا له من الخطورة والبعد عن صحيح الإيمان والاعتقاد ما دفعنا لبيان خطورة ما يدعون إليه وبيان ذلك الخلط الشديد الذي وقعوا فيه لبعض المفيد الصالح المُثبت علمياً وتجربةً ويتوافق مع العلم والدين والعقل وما أضافوا إليه مما يدخل في تطبيقات ومفاهيم وحدة الوجود و الشركيات والخرافات البوذية والديانات القائمة على التأملات وما لا يصح تديناً معتَمَداً وأيضاً الذي لم يصلح ولم يُأخذ بالاعتبار العلمي والتجريبي لصحيح المعتمد قبل أن يعرض على الأصول الصحيحة والثابتة لدينا كمسلمين.

تقول هيفاء السنعوسي أستاذة الأدب والتحليل بجامعة الكويت: علم الطاقة هو علم مبني على تصورات عقلية وخيالات من طقوس ومعتقدات آسيوية من الشرق الأقصى تم اختطافه من مساره العلمي الصحيح الذي هو في الأصل يعود إلى الطاقة

الشمسية والكهربائية والحرارية واستخدموه ليصبح صبغة علمية ولينخرط الناس في دوراتهم والهدف بحسب قولها مادي.

ويقول محمد عبد الفتاح صاحب ومؤلف كتاب (الطاقة الإيجابية مفتاح نجاحك): الطاقة بحسب المتخصصين هي قوة الحياة الموجودة داخل خلايا الإنسان، فالإنسان لا يحمل طاقة سلبية فقط بل طاقتين إيجابية وسلبية والغلبة لمن تنعكس على مشاعره.

تبدأ الحكاية الجديدة بالريكي وهي ممارسة روحانية طورها البوذي الياباني ميكاو أوسوي في بداية القرن العشرين وهي تعني باليابانية الجو الغامض وبالصينية (كي) تعني الطاقة الروحية أو قوة الحياة ثم تناقلها معلمون آخرون وتَستخدِم الريكي تقنية تسمى العلاج بالكف كنوع بديل من أنواع الطب البديل وتقوم باعتقادهم على نقل الطاقة بواسطة الراحتين، ويقوم العلاج بالطاقة (الريكي) على تفريغ الطاقة السلبية لدى المريض وشحنه بطاقة إيجابية عبر جُمل ومفردات إيجابية وتحفيزية ذات طابع تفاؤلي إضافة كما قلنا لاستخدام اليد بوضعها على مواضع منتقاة لتحفيز الطاقة الإيجابية وتمريرها من المعالج والتخلص من الطاقة السلبية.

وتنوعت بعد ذلك مسألة العلاج بالطاقة ودخلت فيها مدخلات جديدة تتوافق مع الشخوص والخبرات التي طوعها الجديد لتدخل في القديم وتأخذ الشكل الجديد والفائدة بالصورة المطلوبة، ونحن هنا سنضع اعتبارات ليُفهم منها بعض المراد فيما

يتعلق بموضوعنا باختصار فنحن لسنا بصدد دراسة تشريحية واسعة للموضوع بل مقال مقتضب ونصيحة تعريفية وتحذيرية لهذا الجديد.

العلاج بالطاقة عند متناوليه علاج بديل يقوم على مبدأ أنَّ هناك طاقة خفية داخل كل إنسان وقد يحدث انسداد أو مشاكل في تدفق هذه الطاقة عبر الجسم وهذا ما يُحدث شعور المرض لدى الإنسان وهدف العلاج بالطاقة هو إعادة تدفق مسار الطاقة خلال كامل الجسم.

هناك طاقة في الأجسام تسمى التشاكرا بمصطلح التعامل القديم والتي اعتمدت عند الجديد وهي موجودة في سبع نقاط في الجسم تنتهي بنهاية العمود الفقري وتبدأ بالرأس ويتم التحكم واستخدام هذه الطاقة وانسيابيتها بين المعالج أو المحيط باستمداد الطاقة واستجلابها لتمريرها أو تنشيطها لدى المُتلقي.

بعض أنواع العلاج بالطاقة

* الريكي (الطاقة الكونية) وهي تنقية الطاقة لدى الإنسان وإعادة تجديدها من خلال نقل الطاقة بواسطة شخص متمرس إلى شخص يريد العلاج بوضع اليد على اثني عشر موضعاً في الجسد مع بعض الممارسات الأخرى.

* علاج التشاكرات ويُعتقد فيه بوجود سبع مناطق للطاقة في الجسم مرتبطة بالغدد الصماء والجهاز العصبي ويتم استخدام التأمل والتنفس لتنشيط تدفق التشاكرا وذهاب السلبية التي تؤثر على توازنها.

* القيام بعملية العلاج بالاندماج بالطاقة الكونية (الطاو) وطاقة الأشياء وأخذ تلك الطاقة وتركيزها للاستشفاء وهنا نرى واضحاً التمرير للمعتقد الوثني القديم بوحدة الوجود.

* زيادة التمادي واعتقاد وجود الطاقة في كل الأشياء وأنَّ التعامل والترتيب بين طاقة الجسد وطاقة الأشياء توصِل الإنسان إلى التوازن والاستفادة من المحيط، ومثالاً لذلك عندهم طاقة الحروف لإسم المولود ومدى تأثر حياته بذلك وحتى وصل تخريفهم لطاقة ترتيب أثاث المنزل وتنسيق الزهور ومدى ذلك في التأثير على التوازن الطاقي العام وهذا مما يسميه بعض متداولي العلاج بالطاقة بالنونج شوي.

خلاصة الفِهم العام لمسألة العلاج بالطاقة ومشروعيتها:

* هناك علوم معتبرة وطب معترف به وتوجيه شرعي للتداوي وأمَّا مسائل علوم الطاقة والتداوي بها فلم يُعترف بها أو تُعتمد علمياً وجلُّ أمرها يقوم على التكسب المادي والتغرير بالناس.

* البعض أدخل الشركيات والمعتقدات الباطلة بالأشياء وأنَّها تضر وتنفع مثل الأحجار الكريمة وأنَّها تملك خواص تجلب السعادة والرزق وتدفع بعض الأمور وكل إنسان له طاقة تتجانس أو تتوافق مع نوع حجر معين مثل الفيروز للبعض والكريستال أو الكوارتز للبعض أو العقيق وغيره ويدسون الحديث الغير صحيح بوجوب التختم بخاتم من عقيق.

* لا ننكر بوجود بعض الجوانب النافعة لكنها قليلة في كثير من الأخطاء العلمية والشرعية ونحن كمسلمين نأخذ فقط ما لا يتعارض مع القرآن والسنة وما يوافق صحيح العقل والتجربة العلمية المعتبرة ضمن قَبول النقل وأمّا هذا الجديد بهذا الاتساع غير المنضبط والمزيج بين كثيرٍ من الخطأ وقليل من الصواب فوجب الحذر والتحذير منه وإن لجأ البعض لتجميله بعبارات أو قوالب شرعية تُخفى على العامة.

* استغلال مسألة التحيز الفكري والدواء الوهمي وتغييب العوامل الاجتماعية المُؤثِرة عند طالبي العلاج والعزو في العلاج إلى الطاقة والاستشفاء الذاتي، وبمثال ليُفهم المعنى، في دورات العلاج المزعومة بعد الطلب من المريض أو طالب الخدمة تِكرار الاعتقاد والقول بالثراء السريع أو الشفاء من ألم معين خلال فترة بحجة الجذب العام فيشعر الإنسان بتغير وتحسن نفسي وهذا معروف عند أهل الاختصاص بالتحيز الفكري والدواء الوهمي.

***

وحدة الوجود

ظهر في ملامح التفكير والاعتقاد البشري غير المنضبط على مدار الأزمنة قديماً وحديثاً في مجال الميتافيزيقيا أو البحث الإلهي بصورته البسيطة أو الفلسفية المعقدة ما أُطلق عليه حديثاً ما يسمى بوحدة الوجود ونرى شواهد ذلك المُعتقد مثلاً في اليونانية القديمة بآراء الفيلسوف هيراقليطس وفي بعض المعتقدات الهندوسية والآسيوية القديمة في مبدأ الاتحاد العام والتناسخ والحلول والطاوية وغيرها من الاتجاهات الفكرية والاعتقادية في التعامل مع وجود الخالق سبحانه وتعالى.

وخلاصة قولهم بالمفهوم العام وتعالى سبحانه عما يقولون علواً كبيراً أنَّ الوجود على الحقيقة يتضمن موجوداً واحداً وهو الله أو الطاقة الكلية أو العقل الكُلي أو المطلق وإنَّ كلَّ موجود أوجده الله موجودٌ في ذاته سبحانه وتعالى عن قولهم.

بمعنى أن الوجود الحقيقي لله وأنَّ كل شيء هو انعكاسات لتجليات وجود الله.

وبمعنى أوضح بأنَّ الخالق والطبيعة حقيقة واحدة وإنّ كل شيء هو انعكاسات لتجليات وجود الله، وبمعنى أقرب أنَّ الله هو الوجود الحق وهو صورة هذا العالم المخلوق وما المظاهر المادية بمجموعها إلّا إعلان عن وجود الله دون أن يكون لها وجود حقيقي أو وجودٌ قائم بذاتها.

وهنا لا بد لنا أن نذكر توضيحاً من حيث تعامل بعض الفلاسفة والصوفيين مع مسألة وحدة الوجود وإن رأى أيَّاً منهم غير هذا المسمى أو اختلافاً في طريقة التعامل معه نظريةً وطرحاً فهذا لتعداد فلسفاتهم التائهة في غياهب الجَهل والضلال،

فالفلاسفة قديماً ممن لم يكونوا ملحدين ومن تَبِعَهم حديثاً اعتمدوا فكرة الوحدة بمضمون فهمها لتبرير الوجود العام وحقيقته وما تعلق بالقوى المطلقة أو الوجود الأوحد أو الإيجاد فمالوا لذلك الاعتقاد ليدركوا وليثبتوا رأيهم في ترتيب الكون والعلاقة بين الخالق والمخلوق وأنَّ تلك الجديدة أي المخلوقة ما هي إلّا ظلٌ للأصل مع قول بعضهم أيضاً بأزليتها.

وأمّا الصوفية المتنطِّعة المُغَيَبة في تيه اللذة الكاذبة فلا بد من التركيز عليها لتوسع انتشارها في بلادنا الإسلامية وكثرةِ تعدادها بالنسبة لغيرها زيادةً على مدى اقترابها في التواصل مع الغير، ونأخذ مقتبسين من كتابين -هما كتاب فلسفة وحدة الوجود لنظله الجبوري، وكتاب تاريخ التصوف لبدوي عبد الرحمن- بعض المقتطفات وهذه الكلمات بما يستفاد منها من إتمام الوصول لفهم الموضوع العام من حيث تناول الصوفية لمبدأ الوجود فيقولان: إن المراحل التي مر بها التصوف من نشأته وحتى تطوره واقترانه بالفلسفة تُفصح لنا عن جوهر التصوف هذا الجوهر الذي يُؤَسس على حقيقتين مهمتين هما:

١- التجربة الباطنية المباشرة للاتصال بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى.

٢- إمكان الاتحاد بين الصوفي وبين الله سبحانه وتعالى.

وأما الحقيقة الأولى عِندهم فتقتضي القول بملكَة خاصة غير العقل الباطني هي التي يتم بها الاتصال وفيها يتحد الذات والموضوع، إن معرفة الله هو الأساس لقيام هذه التجربة باعتبار أنها مُعاشة لا متأمله ويغمر صاحبها شعور عارم بقوى تضَّرم فيه كفيض

من نور، من هنا يشعر صاحب التجربة الصوفية بإثراء في كيانه الروحي وتحَرُر من أفكاره وخواطره.

أما الحقيقة الثانية: فهي غاية التصوف لهذا تُعتبر أمراً ضرورياً في التصوف -وإلّا لكانت مجرد أخلاق دينية- فالاتحاد بالله يساعد الصوفي ويقوده إلى توكيد المطلق أو الوجود الحق أو الموجود الأوحد الذي يضم في كيانه كل الموجودات وفي الإمكان الاتصال به اتصالاً متفاوتاً في المراتب حتى يصل المرء إلى مرتبة الاتحاد التام بحيث لا يبقى إلّا هو.

ومن هنا كان طريق التصوف سلماً صاعداً ذا درجات نهايتها عند الذات العلية وكان سفراً يرقى به في معارج حتى ذروة الاتحاد... انتهى النقل...

وبعد أن ذكرنا مختصراً للتعريف بوحدة الوجود واستشهدنا مقتضبين بما خُصَّ بعلاقة التصوف بوحدة الوجود تلك التي صقلها وأخرجها للناس واضحة المدعو ابن عربي ومن مثله كابن سبعين وابن الفارض وتبعهم على ضلالهم بعض المتصوفة الغلاة والفلاسفة المتكلمين، ونذكر هنا نقاطاً مختصرة وَجَب التفكر بها لِنعيَ زيادةً حقيقة وحدة الوجود وبعض ما تعلق بها فلو أسهبنا في الحديث عنها لاحتجنا لِحمل بعير لشرح ذلك الشر المستطير الذي يعتقده البعض وخرج باعتقاده ذاك عن الحق وسلك طريق الباطل وليس كثرة الشرح يعني قوتها بل لأن التوسعات التي أُستخدمت فيها لجأ إليها كل فكر ضال واتخذ منها جزءًا لينشر ما عنده أو ينصر مذهبه ولأن -أيضاً- معتنقيها ليسوا ممن يزعم الإسلام فقط بل دعا إليها اليهود والنصارى والبوذيين والمتكسبين

وغيرهم من أتباع الديانات التأملية والمتفلسفين ونرى من أعلام اليهود والنصارى في ذلك سبينوزا وبرونو، ونرى في الطاوية ووحدة الكون والتناسخ عند الآسيويين نفس الاعتقاد بالاتحاد العام والحلول ونرى بالتأملات للوصول عن البوذيين قريب ذلك.

* وحدة الوجود الحلولية والاتحاد والإباحية كلها تنافي أصل التوحيد وصحيح الإيمان ومُعتَقِدُها يدخلُ في أبواب كثيرة من الشركيات والانسلاخ عن الدين جزئياً أو بالكلّية.

* يتعامل المنتفع من وحدة الوجود حسب ما تقتضيه مصلحته وما هو المذهب الذي يسير عليه فالجميع يضعه في قالب يتناسب مع ما يعتقد وما يدعوا إليه من المعنويات والمشروحات والفلسفات والروحانيات والتجليات المزعومة وحتماً وصلت للماديات كالتكسب بما أوجده البعض من طب بديل بكذبهم الذي يعتمد على الاندماج مع الكون والطاقة الكلية أو المطلق والتي يراها بعضهم من غير بلادنا عادةً بأنَّها الإلهٰ والوجود العام، والصحيح الذي لا يقبل الشك أنَّ هذه النظرية التالفة أو الفلسفة العقيمة ليس لها باب ولا أصل في ديننا الحنيف وإنَّما أوجدها من كان النفاق قد ملئ قلبه ورئتيه من فلسفات وعلوم الشر ومنهم من جَمَّلَهُ ومنهم من خففه لينشره ومنهم من أَوَّله، والأصل والفروع منه كلها فاسدة لا يصح قليل منها أو كثير.

* خطورة تأويل الآيات والأحاديث التي يستخدمها من ينتسب للإسلام وَجَعلِها تتناسب بظنه القاصر مع مفهوم وحدة الوجود بحيث يكون التفسير والتأويل خارج عن الأصل المقصود والعلوية في الإعجاز القرآني والدلالي فَهُم يضعون الآيات في

قوالب الفلسفات العقيمة والشطحات الصوفية المتناسبة معهم باعتقادهم الضال لتأكيد اعتقادهم بما يؤمنون.

* إلغاء الإرادة للعموم من المخلوقين اعتقاد يراه بعض أصحاب وحدة الوجود نظراً منهم بأنَّ الكل واحد وما يصدر عن المخلوق قسراً من الخالق فالخالق والمخلوق واحد، ومن الخطورة المتعدية في ذلك بأن الحساب والعقاب غير موجود فجميع أفعال المخلوقين بنظرهم انعكاس لتجليات الخالق وما نقوله نحن مثلاً بالعذاب الواقع على أهل النار هم يجعلونه عذوبة يستمتع بها المُعَذَب وهنا يسقط عندهم التكليف والحلال والحرام وأضف لعَوَرِهم قولُهم بأزلية الموجود.

* عند أهل الاعتقاد الحق المسلمين وهم أهل السنة والجماعة يكون التعبد توقيفياً بما ورد في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة المطهرة أمّا عند بعض الصوفيين المؤمنين بوحدة الوجود فَهُم يرون أن التعبد يكون بالتأمل والتذوق والتصفية والتجلي والكشف والاتحاد وكل ذلك بزعمهم وغيره لإدراك اليقين وحقيقة الذات الإلهية والعلو في ذلك حتى الاتصال والوصول.

* مِن فرق الشيعة من يرى ويعتقد الخوارق في الأئمة أو بعض الشخوص ويجعلون لهم مشاركة بالربوبية ومشهور عند بعضهم قولهم بأن الإمام الأكبر له تسيير وتصرف في الكون وهذا مُستمد من فَهم واعتناق وحدة الوجود وجعل المخلوق والخالق في منزلة واحدة.

* هناك خطر جديد داهم لتسويق الدين الموحِد للجميع والذي يُنادي به بعض ناقصي العقل فارغي الإيمان والذي هو عندهم يجعل الإيمان والدين واحد بغض النظر عن الطريقة أو المذهب أو الكيف وذلك لأَنَّه بنظرهم المستمد من تبني وحدة الوجود أنَّ العابد لصنم أو شمس أو شيء آخر إنَّما يتقرب للإلهٰ العام المتوحد مع الكل، ويقول قائلهم في ذلك: عَقَدَ الإلهٰ في الإلهٰ عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوا، وهذا من أعجب الغباء وأعلاه مرتبة مع الانسلاخ التام من أيّ إيمان حق وتوحيد.

***

لماذا نحزن

إنَّ الحزن كلمة تعطيك معناها حينما تقرأها فتشعر بحروفها تسري في شعورك وتحاول مسرعاً الابتعاد عنها لأنَّ ذلك الشعور ليس مرغوباً لأي أحد ولا يبحث عنه أحد، ومعاينة الحزن أمرٌ لا بد منه في هذه الدنيا فليس أحدٌ إلّا وفقَدَ من ملكَ من قلبهِ جزءًا أو فقدَ في حياتهِ مُلكاً أو تأثر بموقف فترقرقت دموع القلب شعوراً على ذلك.

والسؤال هنا ليس البحث عن أسباب الحزن بمعناها المجرَّد وذكر أبواب الحزن، بل السؤال هنا لماذا الإنسان يشعر بالحزن؟ هل هذا الشعور وتلك الحالة التي يدخل فيها الإنسان في حالة من السكون والتأثر بالجوارح والتعبير بالعيون أحياناً ونوازع الصدر وخلجاتها هل هي جبلَّية وتعبير تلقائي فطري كردة فعل لأيِّ موقف يرى فيه أو يتأثر الإنسان الطبيعي؟

الحقيقة إنَّ هذا المقال وهذا الباب إنَّما هو زفراتُ نفسٍ مؤمنة تحاول إن تشجع نفسها وتشجع غيرها ليعلم الكاتب قبل القارئ أنَّ هذه هي الدنيا وتلك درجاتها وفيها هذا الجانب وذاك الجانب، فيها الفرح والسرور وفيها الحزن والكَدَر فيها الجمال وفيها ما لا يُعتبَر، فيها من تشتاق إليه وفيها من تتمنى رحيله، تلك هي الدنيا تجمع كل شيء وفيها كل شيء، فيها ما تحب وما تكره، والحزن هو نوعٌ من المشاعر كغيره يصيب الجميع ويشترك فيه كل من مَلَكَ إحساساً ونفساً بين جنبيه لكن هذا الشعور يصاحبه ألم وانكسار داخلي يجبُرُهُ الرضا وتخففُ آلامهُ الأيام، فالزمان بمروره مع صعوبة ثواني وساعات الحزن الأُولى إلّا أنَّه من بدايات العلاج لأَعراض الحزن.

والجواب على سؤالنا هوَ: أنَّ كل إنسان عنده الجواب مستقياً ذلك من رصيد نفسه بعلاقته مع ربه فتناوُل الأمر بالرضا والإيمان وبالقضاء والقدر يجعل ذلك الإنسان في دائرة ودرجات الرجاء والصبر ويكون متيقناً أنَّ الكمال وتمام الجمال لا يكون في هذه الدنيا إنمّا هي رحلة ينتاب ركابها بعض صعوبات السفر أحياناً لكن لا بد لهذه الرحلة من نهاية ولا بد من مستقر لا تعب فيه ولا حزن، وهناك بعد نهاية الرحلة لا مشاعر سلبية ولا أحزان ولا مواقف قد يتأثر الإنسان بها فيستاء بل من كمال جمالها أن ساكنيها لا يتذكرون آلام الماضي وعثرات الطريق وصعوبات السفر نعم تلك هي دار النعيم ومستقر المؤمنين حيث يختفي الحزن والكدر ويبقى جميل كل أَثَر، هناك السعادة الأبدية وهناك كل أمر حَسَن.

ومن علو الجمال والصلة بين الرحلة وما بعدها للمسلمين أنَّ هناك قبسات ولمحات من ذلك الجمال الأبدي نراها في رحلتنا الدنيوية فطريق الإيمان لا يخلو منها بل هي في كل عبارة وكل بِر وكل سعادة وكل هذا الجمال لا يكون إلا لصاحب الرضا والمقبل بالتسليم لأمر الخالق سبحانه.

أمّا من أبى وآثر دنياه واعتقد أن السعادة بملذات الدنيا واغتراف ما فيها فذلك يصاحبه الألم والحزن ويتضاعف ويبقى ملازماً له بما لا تخففه السنين، ولهذا فلنعتبر ونتدبر فالحزن هنا لا يصيبنا وحدنا بل يصيب الجميع لكن ليس الجميع يؤجرون عليه وهو ليس دائماً بل لحظات في عالم سيكون يوماً ذكرى ويبقى كل جميل فلا كمال هنا وإنَّ ما يخالج النفس من شعور إيجابياً كان أو سلبياً فهذا مما يميزهُ عن الجماد ويجعله إنسانا،

وهنا يعلو الإنسان بذلك الشعور أو يتدنى؛ فيعلو بأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ويتدنى بأن يسخط ويفقد إيمانه، وليُعلم أنَّ من أحب الحزن لذاته فهذا ليس من العقل ولا من الإنسانية بشيء بل الصواب أن ينشر الإنسان السعادة ويزرعها في قلوب الآخرين ويخفف عنهم ويجبر خواطرهم وأن يكون باباً من أبواب السعادة وجمال التأثير وليس سبباً للحزن.

وهنا يكون فهم الإنسانية وتطبيقها ممن شعر بالحزن من موقف أصابه من فِعل غيره أو تقصير نفسِه فلا يُسببه للآخرين ولا يمرِرُهُ لغيره.

***

الشخصية الإسلامية والمشاركة المجتمعية

قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بَعضه بَعضا، وشَبَّك بين أصابعه». متفق عليه عن أبي موسى الأشعري.

الشخصية: هي تلك الهيئة السلوكية والفكرية للإنسان والظاهرة عملياً في نظرته لنفسه وتقديره لذاته وفي أمر تفكيره واتجاهه السلوكي العام والخاص، ويكون كل ذلك مبنياً على مقدار ما ملكت نفسه من قدرات ومكتسبات عقلية واجتماعية، وإنَّ الشخصية لهي هيئةٌ عامة يشترك فيها الجميع ويكونون فيها على درجات متباينة وقدرات متفاوتة وذلك يرجع إلى الرصيد العام لتلك الشخصية وللاعتبارات المعمول بها في التشكيل الأوَّلي لها.

وتركيزنا في الأمر هنا على الشخصية الإسلامية فحسب؛ فهي شخصية تختلف عن سواها لأن لها مرجعاً وسُقيا تختلف عن غيرها في مشاربها فعلوها وكمال أمرها البشري معتمِدٌ على درجة ارتوائها من منابع الشريعة والمنهج والثقافة الإسلامية إلّا أنَّه لا كمالَ لبشر إلا لمن ارتضى الله سبحانه من عباده ونحن هنا على يقين بأنَّ الشخصية الإسلامية بلغت المكيال الأوفى في العلو والرقي الإنساني القيّمي والسلوكي الإجتماعي وكيف لا وأمرها الذي تعتمد عليه صادر عن توجيهٍ إلهي ووعي إيماني وقدوةٍ عملية من شخصية نبوية كانت الأرقى والأعلى والأكمل وممن كان الشاهد الأول الذي تلقى ذلك النور واستقى منه فنبت عليه وهم رمزنا وخيارنا رضوان الله عليهم أجمعين وأزكى وأتم التسليم على معلمهم ومربيهم ومربينا سيد الأولين والآخرين الذي بُعث رحمة للعالمين.

وكما قلنا فمحورنا دائرٌ على الشخصية الإسلامية وما ميَزَ حالها، فالاشتراكات الإنسانية معمولٌ بها لكن الاعتبار هنا قائم على ذلك البناء الأمثل القائم على فهمٍ شرعي وسلوك تعبدي من توجيهاتٍ سامية والذي من الأحرى أن يكون المثال الأعلى والقدوة للغير، لأن القياس دائماً يؤخذ على الأقوم والأكمل، فكمال تلك الشخصية المستمد من كمال الشرائع التي أُسست عليها واقترنت بها فحملت بذلك منها فكراً وسلوكاً دالاً على ذلك ومؤشراً عليه، و يجدر أن يُعلم أنَّ الأساس ثابتٌ كامل والمقترِن به قد يتفاوت في معدل الاقتران والتطبيق وذلك لبشريته وعدم معصوميته، فكلما راعت الشخصية حق الأمر كلما ارتقت بنفسها وعلت في سمو الفعل والفكر.

وإِنَّ مِن تَمَيُّز الشخصية الإسلامية ومن تمايزها على غيرها ما يلي:

* إنها شخصيةٌ بنيت على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعن الفهم الأنقى لمن استقى في تلقي تلك التعاليم.

* إن الشخصية الإسلامية قائمةٌ على الثبات الإيماني والاتزان العقلي الإدراكي بما قامت عليه من عقائد صحيحة وشرائع قويمة واعتبارات فطرية سليمة وارتباط اعتزازي بالدين وبالمقدرات الإسلامية ذات السمو العقلي والتوجه الإيماني الشامل.

* الشخصية الإسلامية ذات طابع ارتقائي وخيري بما حوت من فهم وتعاليم أوجدت لديها ميلاً إلى السلوك الأرقى والتوجه الأسمى فهي مُشَكَّلَةٌ على عين الشريعة وتوجيهاتها فبذلك تكون الشخصية الإسلامية دائبة في الإصلاح الذاتي والارتقاء العملي والرقابة الذاتية ضمن ذلك التوجيه وذلك الإرشاد المبني على مبادئ وقيم مثلى.

* تتميز الشخصية الإسلامية بإحساس السعادة والطمأنينة المصاحب للسلوك المتوائم مع نقاء الفطرة وجمال التشريع، وأضف إلى ذلك قدرتها على مواجهة محدثات الأمور ومجريات الوقائع لما لها من فهمٍ وإدراك إيماني عن الحقائق وتصديق تعبدي لمسائل القضاء والقدر، وأيضاً الشعور بالآخر والمسؤولية في ذلك.

* إنها شخصية ذات طابع متزن في جوامع النفس البشرية من عقل وروح وجسد وإن ذلك الاتزان الممنهج باعتبارات وقيم سلوكية ذات تأصيل شرعي لم يجعل تلك الشخصية تميل كل الميل إلى جانب على حساب الآخر فلا تميل إلى المادة كرغبةٍ للجسد دون قيود أو مراعاة للمصلحة الدنيوية أو الأخروية فيكون حينها الإنسان بذلك أقرب إلى الحيوانية إذا ما استأثر بجانبه المادي وأهمل ما سواه، فكانت نظرتها للمادة نظرة اكتفاء وسبيل لتحقيق غاية أسمى وقدرة أمثل على الاستخلاف فاستَعلَتْ بذلك القيمة الذاتية للإنسان بالارتقاء الحاصل من تقييم الأشياء ووضعِها في مكانها الصحيح.

ومن ذلك أيضاً أنَّها لا تُغَلِّب الروحانية على الطابع العام بحيث تكون الرهبانية هي المقصود فذلك مما لم يَأمُرْ به الشرع ولم يحبذه، بل المراد هو التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة، وان تلك المراعاة والنسقية العادلة أوجدت شخصية ذات اتزان واقعي تجد غايتها في العبادة وأمر التكاليف، وتجد لذتها في الماديات بشكلٍ راق وملائم لأصل التكريم ومن ذلك ما تجده من نسقٍ بين الظاهر والباطن أي ما بين الشكل والمضمون.

* الشخصية الإسلامية حقَّ لها أن يلاحظ فيها علو المكانة الداخلية وارتفاع قيمة الأنا الشعورية للمسلم لِما تثبَّت به من ثوابت وما أُنيط به من مسؤوليات من تبليغ

الرسالة الخاتمة فذلك التبليغ والإرشاد للغير على الدين كان ترشيحاً لتلك الشخصية لسمو الرفعة والمكانة بين الأمم وعلو الأمانة والخيرية العامة.

* الشخصية الإسلامية ذات سمة استقلالية وذات كفاية ذاتية من الموارد الثقافية والتوجيه والتشريعات وهذا سد متين وباب مغلق يحول دون ذوبان الشخصية الإسلامية في شخصيات الغير أو ثقافاتهم وانتهاجه لدور المقلِد للآخرين وبالتالي فقدان الهوية الإسلامية وتعطيل العلاقة الإيمانية بين الأصل والتراث.

ومما ترتب على ذلك التميز وتلك القوامة للشخصية الإسلامية أنَّها ذات ميل فعال للبناء الذاتي والإصلاح والبناء المجتمعي العام، وذات نزعة ايجابية عملية في إعمال مبادئ التكافل الاجتماعي والسلوك الأخلاقي القويم والمبادئ المثلى والصفات الأعلى والتعاون الفعلي على البر والتقوى في حالةٍ من الاندماج المجتمعي التشاركي والتقارب الانفعالي العام وكل ذلك مستمدٌ ومتوافق مع المسار الشرعي الإسلامي.

وأخيراً لا بد لنا أن ننوه على ما يحدث من مزاحمةٍ للشخصية الإسلامية وما يفتحُ عليها من أبواب التغريب وذلك للنيل منها أو لإذابتها في شخصية الغير وثقافته وذلك بوضعها في قوالب غربية أو ذات طابع غير شرعي، وان ضعف الامتثال والتطبيق وضمور الوازع الديني وضحالة النهج الفكري والثقافي لدى بعض الأفراد الذين ينتسبون أحيانا اسماً للإسلام ليُحدِثُ اضطراباً وانفصاماً في الشخصية لديهم وتكون فيها لذلك الصورة مشوهة عن الإسلام، وهذا هو المقصود لمن نصب العداء ومكر بالخفاء وذلك بتشويه رؤية الناظر للإسلام من بعيد وإضعاف الإرادة العامة وتقدير

الذات للقريب، فالله الله في حالنا وشخصنا ولتكن أُمورنا كما يحب ربنا فعندنا ما فيه خيرنا وعلاجُ حالنا وإصلاح أمرنا فلنتمسك به وهو شرعَةُ ربنا لنعود ويعود سابق عهدنا وحقيقة قَدرِنا فنقود الأمم وتعلو الهمم فالإسلام بشخصه هو المنهاج الأمثل والعلاج الأكمل والقالب الأجمل للإنسانية وللعالمين.

منقول من كتابنا لماذا اخترنا الإسلام ولماذا يعادونه

***

العلاقات المصلحية

إنَّ العلاقات الاجتماعية وهي مجموعة الروابط الإنسانية التي يتشاركها الجميع متعددة متنوعة من حيث الدرجة والتبادلية والقياس، وهي أساس في الحياة العامة ومورد لا بد منه فالإنسان لا يستطيع الإنفراد دوناً عن الآخرين في حياته أو أن ينعزل تماماً بحيث لا يَرى إلّا نفسه وإن حدث هذا وهو من علو النادر فلا يُقاس ولا يأخذ عنه أو منه حِكمة أو حُكماً في القياس العام، وإن تلك العلاقات الاجتماعية هي دائرة المعيشة للفرد ضمن حلقات المجتمع المتنوعة وهناك تداخلات بين هذه الدوائر السلوكية والاجتماعية لأَصعَب من إحصائها ووضعها في قالب واحد فهناك علاقات فردية وغيرها متعدية داخل الإطار الأسري أو الضيق، وهناك الواسع منها الذي لا بد أن يكون الفرد ذا دور فيه إمّا عفوياً أو مرتباً متناسقاً مدروساً، وهناك من تلك العلاقات ما هي قصيرة الأمد قصيرة التأثير وغيرها طويلة أو بعيدة التأثير وتشعبات ذلك يطول بها الشرح، لكن هنا مقالنا يركز على علاقة وسلوك اجتماعي محدود يسمى بالعلاقات المصلحية تلك العلاقة التي تأخذ طابع الرفض أو تدني التقييم للرائي في الوهلة الأولى والتي لا بد من قليل من الشرح لندخل في تلك العلاقة ونحيط ببعض جوانبها لنَعِيَّها ويرتفع عندنا درجة معرفة التقييم لتلك العلاقة وذلك المصطلح.

أولاً إنَّ العلاقة النفعية التبادلية أمر لا بد منه والتحصيل في هذا الزمان وما قبله بغض النظر عن الفترة لا بد منه فمنذ ما كانت البساطة هي السمة في الحياة اليومية مع قلة التعقيدات والتوسعات الاجتماعية كانت العلاقات النفعية موجودة واستمرت

لزماننا وستبقى لبعده، لكن حدث تغيير في درجة تلك العلاقة من حيث تناولها العام وكيف أنَّ المدخلات المادية والمتطلبات الحياتية المتزايدة قد أثرت عليها فأخرجت لنا سلوكيات ينفِر منها كل ذواقٍ للجمال عالي الإنسانية.

بمعنى أنَّ ما كان يُبني على العلاقة المصلحية قديماً كان مقبولاً منه الكثير مع وجود ما يقلل من درجة القَبول ولكن مع تقدم الأزمنة ودخول المادية والاحتياجات كمتطلبات أساسية لا بد منها أضف إليها بعض الكماليات التي ارتفعت لتدخل ضمن الأساسيات مع التزايد في التعداد البشري خرجت علينا تلك السلوكيات الغير مقبولة والتي وَضَعت المصلحة هي الأساس وجعلت الغاية تبرر الوسيلة فأصبح بعض الأفراد لا يكترثون أيَّ طريقٍ أو نوع العلاقة الاجتماعية وأسلوبها يستخدمون في سبيل تحقيق المصلحة فخرجت المصلحة من ترتيب التحصيل بعلاقة نفعية إيجابية بين الجميع وأصبحت فردية تصب في سبيل المستفيد دون اعتبارات خُلقية أو جمالية.

ولهذا نجد في عصرنا الحديث ذلك التعداد الكبير من السطحية الاجتماعية والتدني في الرقائق العامة وزيادة الملامح المادية الجافة في شخوص يدخلون الدوائر الاجتماعية ثم ما يلبثوا أن يختفوا بعد أن يتم المراد أو يأخذوا قناعا آخر يلبسونه لتحصيل جديد أو علاقة نفعية مادية جديدة.

ومن مساوئ ذلك غير تدني مستوى الثقة بين أفراد المجتمع.

الجفاف الواضح في مجمل العلاقات وازدياد مستوى الطبقية والتكتلات النفعية فعندما تغزوا الفكرة المادية مجتمعاً أو تُحيِّد سلوكاً مقبولاً وتجعله أقل اعتباراً وتُقدِم المادة

على الاعتبارات المثالية والأخلاقية فذلك يجعل أصحاب النفوذ والمال هم المُقدَّمون في المقام الأول وهم الدائرة المرغوب سلوكها والتعامل مع أفرادها دون أخذ الاعتبار للدرجات الخُلقية العامة والمكانة العلمية والايجابيات المعرفية والمبادئ والقيم المعتبرة.

فعندما تجتاح المادية رغبات البعض يصبح المقياس بالأرقام وتضمحل المعنويات والرقائق والصدق وغيره من جميل كل شيء.

إذاً لا بد أن نعي أنَّ المنفعة المصلحية أو العلاقة المصلحية لها دَرجات قَبول لمستوى يتوافق عليه الجميع وليس من باب الخطأ أو الخروج عن المألوف، لكن تقديم المصلحة المادية لذاتها فهذا من إفرازات العلمانية والمادية والسلوكيات غير المعتبرة والدخيلة على مجتمعاتنا فالإيثار والكرم والشرف والكرامة والصدق ومحاسن الأخلاق والمكانة المعرفية والعلمية هي المقياس الأوفى والأحق أن يُتَّبع.

ويكون طريقاً يُعلَّم الصغير قبل الكبير سلوكه والتعلم بناءً على تأصيلاته وما صدر عنه من معتبر في السلوك والتعاملات الاجتماعية ولا ننسى قبل ذلك وأَهم من ذلك الاعتبار الديني الصحيح فهو الثابت أَصلاً الكامل توجيهاً وقياساً والمرجع الأصيل الذي يقاس عليه ما يصح وما لا يصح.

وخلاصة الجمال: أنَّ العلاقات الاجتماعية يجب أن تَرقى لمستوى الكرامة الإنسانية وإعلاء القيم وتقديم المبادئ على المصالح، ومن كانت الفردية أولوية عنده فلا يكون له اعتبار عند الكل، ومهما طغت المادية فهذا لا يقلل من قيمة جوهر الأخلاق وعلو الرتب العلمية والقامات الفكرية والسوامق الدينية، وإن ارتفع بعض الناس الآن

بحكم المادة لعلو ارتفاعها في تخبط القياس وارتفعت معها أسهم المصلحة وتلك الدائرة المقيتة فهذا لا يعني شيئاً عند كل جميل محبٍ للجميع الخير من يقدم الجميع على نفسه ولا يتنازل عن قيمته ليُعلي من رصيد حسابه فالذهب لا يفقد قيمته حتى لو وقع بين يدي من لا يعرفه وإيَّاك مصاحبة من كانت مودته على قدر مصلحته وكن على يقين إن لم تكن المبادئ أعلى من المصالح لديك فإنَّك قد فقدت الكثير.

***

لغة المادة والمال

يزعم البعض من الباحثين في مجال علوم اللغات والاجتماع أنَّ اللغة وطرق التخاطب وحتى الكلام قد مرت بمراحل تطور واكتشاف للجديد منها على مدار الوجود البشري، ونحن كحضارة وثقافة إسلامية لنا تحفظ على كثيرٍ مما يقول هؤلاء نظراً لإيماننا بوجود معتقد صحيح لوجود الإنسان ونشأته والبداية والنهاية كما هو موضح وثابت عندنا في الأصول وليس كما يزعم هؤلاء.

المهم إننا نرى على وجه البسيطة تعداداً للغات واللهجات أكثر من أن تحصى لتنوعها ومرونتها وحتى لخصوصية البعض منها التي تبقى محصورة بين جماعات معينة يحتفظون بها وكأنها جزءٌ لا يتجزأ من حياتهم وتفردهم البسيط أحيانا.

ومقالنا هذا له من الخطورة مكان لما نرَى ويرى معنا كل إنسان لتلك اللغات المادية الخطيرة التي أخذت مساحةً واسعة في التعاملات وطريقة التواصل بين أفراد المجتمعات والطبقات الاجتماعية ومنها لغة المال نعم تلك اللغة التي أخذت حيزاً بين الأفراد ومساحةً في حياتهم وصاحبتها تلك الشكلية في شخصياتهم وتعاملاتهم مع الآخرين فترى منهم من يحاول أن يعطي تلك المادة دوراً متقدماً في ردود التعامل من الطرف الآخر وكأنه يملك ما يتميز به ويتقدم به على الآخرين والأصل الصحيح بأَنَّهُ كانت الثقافة العامة والتحصيل العلمي والديانة قبلاً والدراسة الأدبية معها تعطي ذلك الرونق الجميل لصاحبها نظراً لما تعطيه من مساحةٍ كبيرة في التعبير والتواصل بشكل يتلاءم مع المحيط وأيضاً ما يقدمهُ ذلك المالك لها من صبغةٍ ثقافية وعلوم نافعة تشبع

الرغبات العقلية و ترفع الناحية النفسية للإنسان بِما جُبِلَ عليه من استقبال كل جديد جميل فكان هذا العطاء وهذه المقدَّرات الفكرية والثقافية جانباً معزِزاً للشخصية على عمومها ورافعةً لها في سلم التصنيف الثقافي والعلمي.

وكل هذا محمود طالما بقي في دائرة الخيرية والتواضع المنشود، وهنا للأسف ننتقل لِذكر تلك اللغة الجديدة علينا تأثيراً وعلى العالم أجمع ألا وهي لغة المال التي أصبحت طاغية في كثير من النواحي وقدَّمها للأسف الكثير لتصبح لغةً لمن لا يملك لغة وتعريفاً لمن قد لا يُعَدُ مرموقاً أو ذو كفاءةٍ في منصب تشريفي أو علمي أو حتى اجتماعي، فهنا أصبحت لغة المال والمقدرات المادية مقدمةً على ما هو الأفضل قطعاً وأصبح أصحاب المال لهم الكلمةُ المسموعة والرأيُ السديد وللأسف الحكمة عند البعض ومهما كان الإنسان تافهاً فتلك القشور المادية تعطيه لِباساً ورونقاً محبوباً ومرغوباً لدى الكثير.

والأنكى من ذلك والأمَرُّ هو تَقَدُّم بعض هؤلاء ممن جمع كثير مال وقليل العلم والثقافة والأخلاق في مجال التحكم والمناصب والدور الفعال في اتخاذ القرار والتأثير على الكثير وهذا من المصيبة بمكان أن هُمش أصحاب العلوم والأخلاق والكفاءات وعَجِزَ عمل سلم الأولويات في التقييم والكفاءة فخرج ناتج ذلك علينا بما نراه بواقعنا من تافه الرغبات المروَج لها إعلامياً واجتماعياً وضعف التخطيط وارتفاع الرويبضة وتحكم الجاهل بالأمور العامة والمقدرات الثقافية وتراجع الكفاءات في سُلم التقديم والرعاية وهذا من علامات سقوط المجتمعات وتوسع الطبقية وضحالة العلم وذهاب دور العلماء وقيمة القيَّم وَتَقدُّم الأصول كمقياس أكمل.

لذلك فالأوفى عملاً والأرقى فكراً أن يُسخر المال لخدمة العلم ورفع المستوى والخدمات المقدمة للمجتمع وأفراده وأن لا يكون المجتمع مُنقاداً للمال وأصحابِه فالمال تابع وخادم لمن هو أرقى منه وأرفع وليس العكس.

ونرى في دراسة التاريخ البشري كيف أنَّ من ملك العلم والمال قد قدَّم الخير الكثير ونفع المحيط وارتقى بنفسه وتميزه في دور تشاركي تفاعلي عاد بالنفع العام للمجتمعات وكيف أنَّ الطبقية المادية المقيتة هي التي قدمت أفراداً جعلتهم سادةً على حساب الكل وكيف ساهمت في نشر الضعف العام والتبعية والتخلف في إدارة الموارد والتناسق المجتمعي، لذلك من عظيم السوء السوءُ في توزيع الثروات واحتكارها في فئة معينة محابية للسلطة أو من دارَ في أروقتها.

ونحن هنا لا نُهمِش أهمية المقدرات والمال لكننا نريد تلك الشخصية الملتزمة المثقفة والأخلاقية المُتَرَفِعة أن لا يُقَدَّم عليها من مَلك أكثر وأن يتحكم بها ويضعها في دائرة الرغبات من مَلك المال وكان فقيراً في العلم والدين وحُسن الأخلاق، فلنضع الحق في الكفة الصحيحة ولنقِس بمقياس الحق فأيّما مجتمع قدَّر علماءه ورفع قدر أهل الخير فيه قطف ثمار الخيرية وارتقى في كل مجال فارتفعَ بهم ومعهم وساد العدل واختفى الجهل وتلاشت التبعية للغير عامة من خارج مجتمعاتنا وللخاصة ممن يتوافقون معهم من داخل أسوارنا.

فليست القيمة كم من العدد جَمعت بل القيمة ماهيِّة ما قد جمَّعت، فقليلٌ من تميز النقاء يغني عن كثيرٍ من لا شيء.

ضَعف دور العلماء في العصر الحديث

نقصد هنا بالعلماء علماء الدين وهم من تعترف لهم الطبقة العلمية بأصالتهم وحالتهم العلمية واعتقد أنّه من الخطأ التركيز على تلك الأوراق التي تُصنِف هذا عالماً وهذا باحث قدير، فالعلماء هم ثمرة ذلك التحصيل الراقي والعلو المعرفي والأخذ عن الأصول والاغتراف من منبعها الأصيل والتدرج في طلب العلم والارتقاء على أيدي من سبقهم ممن يُشهد له بالخيرية والمكانة العلمية.

نستطيع القول شبه جازمين أنَّهُ عندما بدأ السلطان سليمان القانوني بسَنِّ القوانين مع إدراكنا أنَّ الدولة العثمانية كانت في عهدهِ في أوج القوة والمكانة العالمية لكن ما عمد إلى فِعله من تعميم تقنين الدولة مع المحافظة على أسلوب المركزية في الحُكم والقيادة أثَّرَ كثيراً في دور العلماء وتأثيرهم في المجتمعات الإسلامية فيما بعد، فالعالِم كان فيما مضى يتمتع بقوة موازية للسلطة تلك القوة التي أعطته إياها الشريعة والشرعية وألبسته معها ثوب المكانة والفعالية الاجتماعية والتأثير على نواحي اتخاذ القرار نظراً للدور المهم الذي تفرضهُ الشريعة على وجود الإطار والقاعدة الشرعية والتي تقوم عليها سياسة الناس.

فالمنهج المعمول به خالصاً هو المنهج الأصيل والأمثل للاختيار والعمل به وهذه هي الركيزة الأساسية للمجتمع الإسلامي في التعامل والتداول، ومن ثم أتى بعد ذلك بفترات حملات وسياسات الاستعمار مع تابعية في تقويض العمل بالشريعة والعمل على زعزعة مكانتها وإخراجها عن دورها الرئيس وفعاليةِ عملها فطالما كانت العقيدة والارتكاز الديني هي السد المنيع لصد المعتدي فكرياً وعقدياً قبل صد الاعتداء المادي

بالأفراد والسلاح، وتوالت الحكومات بعد ذلك والتي طورت بزعمها الحالة الاجتماعية والسياسة العامة إلى نظام مدني يحوي خليطاً من الآخر الذي لا يمتثل للإسلام بعقد أو التزام، فأصبح هنا وعلى مدار توالي الحقب الزمنية أنَّ مكانة وفعالية دور العلماء في اضمحلال وضعف، ناهيك عن تأثير عمل الإعلام والفكر المضاد المصاحب لذلك الدور الاستعماري في تقييد دور العلم والعلماء.

فأخذت الصورة العامة والإعلامية تتجه إلى وضع العالِم في صورة مزرية وتتناوله بشكل يقلل من قيمته ومكانته في المجتمعات الإسلامية ونرى ذلك جلياً في تلك الحالة التي يضعون فيها أهل العلم والعلماء في صورة تتناولهم بالضعف وتصفهم بما لا يليق وهذا ترك عند بعض الأفراد لضعف متاعهم في العلم وتقديرهم في الفِهم النظر بصورة سلبية لهذه الفئة المستهدفة، وهناك أيضاً تلك المرحلة الخطيرة في إضعاف دور العلماء وهي وضع العلماء في قيود درجات السُلم الوظيفي وإضعاف دور الأوقاف في كفالة العلم والعلماء؛ فعندما يصبح العالِم موظفاً يصبح مُقَيداً فاقدًا نسبةً كبيرة من قدرة الاجتهاد والإبداع في الناتج والتأثير فكون العالم ينتقل من العالمية إلى دَور الموظف فيصبح هنا رهينةً للإجراءات والقيود التي فرضت عليه ويصبح التحكم بأيِّ مستحقات يملك تأثيراً على مسارهِ وجهده ودورهِ الحقيقي، فالعالِم لا يقتصر عطاءه على نشر العلم بل هو مَركَب الشريعة لإيصال الناس لضفة الحق والارتقاء العام وتوسع الدعوة والاجتهاد.

وكما قلنا فقد باعدت الدولة المدنية ارتباط العلماء بالمجتمع على النحو العالي والحقيقي وألغت جزءًا كبيراً من الاستقلالية التي كانوا يتمتعون بها وأصبحت المناصب والوظائف تدخل في باب التنسيق الإداري الذي يتحكم به من ليس من حاملي لواء الشريعة وأصبحت الأوراق مقدمةً على المكانةِ والتحصيل العلمي وهنا تربعت العلمانية أو ظلالها على مفاصل التوزيع الوظيفي وعمل المناهج العامة والخاصة والتي تؤثر فعلياً على الجيل الناشئ وعلى الأجيال المستقبلية والتي ستأخذ ما هو جديد ومدني على ما هو أصيل وشرعي.

وهناك أمر خطير يظهر جلياً في نشاطِ الحداثة والعلمانية والليبرالية والتبعية في تنحية دَور العلماء بِوضعهم على قائمة التهميش والإبعاد عن الأماكن ذات الطابع المباشر والمؤثِر على المجتمع عامة وانضم إليهم في ذلك الدور وكان من أعمدة اعتداءهم الإعلام الموجه والمصحوب بمجهود دعائي وتسويقي فكري عالي في إسناد ذلك وترويجه ونجد مثالَ ذلكَ واضحاً في المجتمعات في كيفية وطريقة ترتيب العلوم الشرعية بين العلوم العامة والمدنية في الإقبال وآليات التعامل مع أصحاب وحملة العلوم الشرعية في التوظيف والتعامل والشروط...إلخ، مع الاهتمام من طرفهم بإيجاد دائرة من الحماية لأهل السياسة و المفكرين عموماً وحرية التعبير لأيِّ اجتهادات غير قائمة على قواعد أصولية شرعية وإضعاف الدائرة المقابلة فأوجَدَ ذلك تجرُّؤًا على الأصول والثوابت وبث الأفكار الغير موافقة لقيّمنا وشريعتنا وأوجد أيضاً زهد الناس في طلب العلوم الشرعية والعمل بها.

الخلاصة: إن العالِم كان يتمتع بسلطة موازية للحاكم واستقلالية وقد كان له تأثير في كآفة النواحي ولهذا وجب إعادة المكانة العلمية والحقيقية للعلم والعلماء في العقد الاجتماعي العام وتفعيل دور العلماء لريادة الناس وتوجيههم للأخذ عن المنهج الإسلامي الكامل والعمل به.

***

الصدود عن الحق

الحقُ بدايةً هو الصواب وضده الباطل، بمعنى هوَ الثابت الذي لا يُساغ إنكاره وهو العلو حُكماً وتقديراً والطريق إلى كل بِر وبه يعلو المرء ويُحَصِّل كل خير وينتظم به الأمر ويتوافق مع كل أصل صحيح وما تفرع من ذلك الأصل فَهماً عنه وتطبيقا، وأمّا الصدود فهو الامتناع أو الإعراض أو موافقة الباطل وعدم الأخذ بالحق.

إنَّ الموقف الصحيح من الحق هو اعتباره المرجع الأوحد وإتباعه والتسليم لهُ وقَبولهُ والدعوة إليه والدفاع عنه، فطالما كان الحقُ شمساً لا تغيب ونوراً يَهتدي به الخلق في كل أمر كيف لا وهو العُلو في كل أمر كيف لا وهو يوافق كل الأصول المعتبرة والعقول السليمة المتدبِرة والفِطر المستقيمة والأخلاق القويمة والحق يَعلو ولا يُعلى عليه فهو البياض الناصع والحجة الدامغة والأمر المبين والحبل المتين.

لكن للأسف على مدار الزمن ظهرت غيوم الباطل في سماء العالم بِتلك الخلافات القاتمة والحجج الواهية التي تُحاول أن تحجب شمس الحق وتُعَتِّم فهم الخلق فهي خالفت وعاندت ليس لضَعف الحق أو قوةِ حُجَّتها واستساغةِ خلافاتها بل هي الخلل نفسهُ فيها ومن اتَّبعها وأذكى نارها فإنَّما هؤلاء المخالفين للحق اتخذوا طريقا رَأوا فيه أنفسهم كذبا من عند أنفسهم أو ما زينت لهم به عقولهم الجانحة أنَّهم هم على الحق فَلبِسوا وألبسوا غيرهم لِباسا خادعاً واقنعوا أنفسهم كذباً وأوهموا غيرهم بذلك حتى لا يخسروا معركتهم الواهية ويفقدوا ما كسبوه أو يحاولوا أن يُمرروه ويريدون به أن يفوزوا بمعركة عاندوا فيها وعادَوا ما وجب عليهم أن يتبعوه.

ومعاداة الحق لهُ أوجه كثيرة ومراتب عديدة أخطرها وأعلاها خطراً وعِناداً معاداة منهج الحق ودين الحق فحادوا عن طريق الاستقامة وامتثال التسليم للخالق سبحانه فاتخذوا هواهم إلهٌ وقدَّموا منافعهم على شريعة خالقهم وآثروا مكاسب الدنيا ورياسة الوهم على الحق المبين والصراط المستقيم فكانوا في دائرة من الشك المهلك والتشكيك المختلق فَعَمَوا عن نور الهداية وصموا عن السماع للخير فقدموا أنفسهم وحَرَّكتهُم تلك النفوس في دائرة الحقد والحسد والخوف من فقدان ما سيفقدون بعد حين فآثروا بذلك الفاني على الباقي وعبدوا أوهاما وما أوحت به شياطينهم فخسروا وأضروا غيرهم ممن تبِعَهُم من ضعاف النفوس وهذا هو الخسران العظيم والهلاك المبين.

وهناك معاندة الحق في أوجه المعاملات والقياس وما كان في حركة الحياة في التطبيق والأحكام والرموز فهنا قد يكون الإنسان يلبس ثوب الإسلام ظاهراً لكنه باطناً يكيد بأهله وينقل الصورة بالشكل الذي يقلل من رونقها ويغير من حقيقتها وهؤلاء كثر لأن فيهم المرتَزِقة الذين يضعون الأمور في غير موازينها ويستخدمون القياس الخاطئ والدليل في غير مكانه ويلجؤون إلى المتشابهات ليشوشوا على الناس أمرهم.

وهناك من غير المرتزقة المتكسبين ممن كان الجهل مُحرِّكهُم والإتباعُ الأعمى مُوجِهَهُم فتراهم ينافحون عن أفكارهم التي ليس لها أصل في مجتمعاتنا ولا سُقيا من أصولنا بل هي دخيلة غير شرعية فيجعلونها ما يجب الإتباع وأنَّها هي الأفضل بزعمهم والموافِقة للتقدم والمرافِقة لارتفاع الحرية وكل هذا بأشكاله حيادٌ عن الحق وترويجٌ للباطل وتقديم لما لا خير فيه، فالكمال لا بُد له من أصل ثابت وتشريع كامل وهذا لا

يوجد إلّا في شريعة الرحمن ومنهج الحق بأَصليهِ القرآن الكريم والسُنَّة المطهرة بفهم خير أهل الزمان ممن رافق النبع الكريم والوحي العظيم.

من خلاصة المعرفة لأحوال أهل الصدود ودورات مجافاتهم ومعاداتهم للحق نستطيع أن نجعلها في أسباب قد تحوي مجمل ما لجأ إليه من مالَ إلى الباطل وآثرهُ وقدَّمهُ على مدار الزمان ومقدار الصدود فيمن كان منهم متقدماً بعلو الإنكار وإجمال العناد إلى من فقد نفسه وروَّج لبضاعةِ غيرِهِ من الأفكار الخاطئة والشبهات المنقولة والضرب في الرموز وتهميش الأخذ بالأحكام أو حتى من كان متذبذبا تحركه رياح المصلحة أو كان قلماً أو بوقاً مسموماً مُستأجراً.

- الحسد، وهو البداية لأصل الشر ونجده خالصاً في نفس الشيطان حينما عاند وكفر وتبِعَه في ذلك من يحسدون أهل الحق وسلكوا طريق معلمهم الأول.
- الهَوى، وهو تقديم رأي النفس على التسليم للحق وجعلها الحَكَم والقياس، ومن ذلك الهوى تقديم العقل على النقل.
- الجهل وهو العدو الأكبر للبعض فمن جهل شيئا رُبما عاداه وكان هذا ديدن من لم يعرف الإسلام خاصة والحقوق عامة فقدَّم رأي نفسه وحَكَّم المصلحة والتقدير الناقص على الكمال.
- الكِبرْ، وهو بَطرُ الحق ورفض الصواب والاستعلاء على الخلق وتحقير أمرِهم.
- الخوف على الرياسة وفقدان المكانة المزعومة، وذلك بنصرةِ الباطل وأهله للحفاظ على المكتسبات المترتبة من البقاء على وضع مخالف ومضاد للحق المطلوب.

- البعد عن التقييد والالتزام بالأحكام، فالحق له قواعد وقوانين وأحكام ترافقه لضمان تطبيقه والحفاظ على اتزانه وهذا يصيب من يريد الانفلات بلا قيد أو وازع فيلجأ للإنكار وتشويش صورة الحق كوسيلة هروب مزعومة من التسليم والتقيد بملازِمات الحق وما صدر عنه.
- حب الدنيا ورغبات الحياة المادية على حساب الشرائع والحقوق، إنَّ من الحق إعطاء كل ذي حق حقه والبعض يرفض ذلك لنزوعه إلى استجلاب الكل والحصول عليه بأيِّ طريقة كانت ومنها التقرب لأهل الباطل.
- العصبية والتحزب، العصبية المقيتة والتحزب لجماعة ولو كانت ممن تعد من أدوات الهدم والفساد في المجتمع فهي عند هؤلاء الولاء لمن ينتمون لهم ولأفكارهم ولو على حساب الحق وأتباعه.
- التأثر بفلسفات وأفكار أهل الباطل، يحدث هنا أن يكون الجديد أو المدسوس قد بلغ مكاناً في النفس أزاح الحق وجلس مكانه وصار عند صاحبه هو الحق وهذا من الخطورة بمكان أنَّ الإنسان يفعل الباطل ويظن أنَّه عين الحق وهو بعيد كل البعد عن ذلك.
- الضغوطات الاجتماعية، عندما يقل الالتزام بالحق العام والحقوق الخاصة في مجتمع ما يصبح تنظيم الفساد هو الدارج وهذا خطر وحلقة ضيقة على أهل الحق ونرى بعض ذلك جلياً في المجتمعات الغربية التي تنصر أفرادها على أهل الحق من المسلمين لديها وتُحَقِر أمرهم وتقلل شأنهم، وهناك بعض العادات أيضاً في

المجتمعات العربية قد تخالف الحق ولكنها احتلت مكانةً لدى البعض فأصبحت كالتشريع.

- التقليد الأعمى، التقليد هنا سواء لعالِمٍ مزعوم أو لمن سبق دون التحري والبحث عن الصواب الأوفى والأكمل.
- فساد الرأي وقلة العلم، عندما يتربع الجهلة على كرسي العلماء والمتكسبين على منافذ الإعلام يتزين الباطل فينخدع بذلك الكثير ممن قلَّ من العلم حِملهُ ومن المتاع فِهمه.
- القوانين الوضعية، عندما نُحكم بغير الشريعة الإسلامية يصبح الحق صعب التطبيق والحصول عليه أصعب.
- فساد القصد، من ظنَّ أنَّه مروجٌ للحق لكنه على أساسٍ باطل فهذا للشرِ داعم في ثوب واعظ.

***

أصنام الجاهلية وأصنام الغرب

عندما زار عمرو بن لُحَيّ -وكان آنذاك كبير مكة وسيدها حينما كانت خُزاعة لها اليد على مكة قبل قريش- الشام فوجد أرضاً خصبة ذات زرع وثمارٍ وافرة فسأل أهلها ما هذا الخصب؟

فقال لهُ من كان منهم على الوثنية آنذاك: هي أصنام نتقرب بها ونعبدها ونسألها ما أنت ترى، فحمل معه من أصنامهم ونقلها إلى مكة التي كانت قبل ذلك على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام مع وجود بعض التجاوزات التي أحدثها الناس، ولكن حينما أحضر هذا الأفاك هذه الأصنام وأدخلها جزيرة العرب ولمكانته في مكة أجبر الناس على الاعتقاد بها وجعل معها الجديدَ الضال غير المعهود كالسائبة والحام والبحيرة وغير ذلك مما لم يُشرِّعه الله سبحانه في دين إبراهيم فنشر الشرك وعبادة الأصنام فحَمَلَ وزرهُ ووزرَ من فعل فِعله مع إثمهم.

لذلك أخبرنا الرسول ﷺ أنَّهُ يجرُ أقتابهُ في النار، وامتدت عبادة الأصنام في الجزيرة العربية وتوزعت آفةُ الأصنام على القبائل فكانت كل قبيلة لها صنم أو أكثر ترجع إليه بزعمِهم وتعبُدها ظلماً من عند أنفسها مثل اللات في الطائف ومناة في ساحل البحر ورئام في صنعاء اليمن وسواع على ساحل ينبع، وفي مكة وحدها بلغ العدد ما يزيد عن الثلاثمائة صنم وما شابه من أوثان كانت تُعبد من دون الله سبحانه وتعالى عما يفعلون.

وهناك غيرها في الجزيرة العربية يضيع الوقت بذكرها، وعندما أتى الإسلام وانتشر التوحيد وقويت شوكة الدولة الإسلامية تم إزالة كل هذه النجاسات وألقيت في

المزابل بعد إحراقها وتم تنقية الدعوة والعبادة فجُعلت خالصة لله وعَمَّت وعلت رايةُ التوحيد والإسلام في جزيرة العرب والدول التي شُرِّفَت بالفتح الإسلامي، هذه قصة مُختصرة لدخول الأصنام لجزيرة العرب ومن أدخلها وكيف ذهبت بعد تنقيةِ المجتمعات من هذه الشركيات وإعادة الناس للصراط المستقيم.

ونرى للأسف في واقع اليوم البعض كعمرو الأول؛ فقد قام البعض ممن انخلع من هويته وفَسق عن دينه وركب مركب الضلال فأحضر إلينا من أصنام الغرب ومعتقداتهم الفاسدة ما أفسد على البعض دينهم وشوش على الناس معتقداتهم وهم على درجات فمن كان فارغاً من الإيمان ادخل الإلحاد ونظريات الإلحاد وأفكارها وبثها بين الناس، ومن كان منافقا أدخل بعض المدخلات الشركية وربطها بالدين وجعل لها غلافاً لِيَجعلَ لها قَبولاً عند بعض قليلي العلم ومثال ذلك تجدهُ فيمن جعل صَنم المدنية الغربية وقوانينها هو المثال الأوفى للأَخذ والتداول بين المسلمين لأَنَّهُ يُواكبُ المدنية ويُلبي متطلبات الحياة العصرية دون الالتفات للأُصول والقواعد الشرعية فيقدم هذا الجديد المنقول من خارج الإطار الإسلامي ويجعله بديلاً عن الأصول الشرعية بل ويزاحم هذا الجديد الوضعي على مكانة الحُكم الإلهي، والعلماني منه على الديني.

وهناك أيضاً من لبس ثوب الدين وداخله ليس كذلك فأوَّلَ النصوص وجعلها موافقة لما يريد الغرب وما تريد نفسه المُستأجَرة لمن يريد النيل من الدين فادخل أفكاراً تهدم قداسة الدين وتنال من علوه وتجعله نصاً قابلاً للتأويل مائعاً يوافق مناهج لا ترقى

لاعتبارات الأصول وما تدعو إليه عند المسلمين، ونرى ذلك في شخوص وأفكار الحداثيين والليبراليين ومن كان في فلكهم.

إذاً نحن أمام خطر جديد يقوده أحفاد عمرو بن لحيّ وبأصنامهم الجديدة جلّها أفكار وقيم ومعتقدات تريد أن تعيد المجتمعات الإسلامية لعصر الجاهلية الأول، لكن هيهات فبعد انتشار الحق والدين أصبح هؤلاء عراةً مكشوفين ليس كمثل صاحبهم الأول الذي لم يجد من يمنعه حتى أتى الإسلام وفتح مكة بل الآن الخير لا ينقطع وشمس العلم لا تغيب والدين محفوظٌ بحفظ الله له بعد نزول رسالة الإسلام، وما هذه الأفكار الداكنة العقيمة إلّا غيومُ صيف ما تلبث أن تنقشع بعد أن أشرقت شمس الإسلام وحملتها الدعوة والصحوة ولن تقف بإذن الله تلك الجهود لتنقية الجو العام والدعوة إلى النبع الأول والأصل المحفوظ وأمَّتنا لا ينقطع علمها ولا علماءها ولا مجاهديها بالعلم والعمل وأُمهات المسلمين لا تنفك تلد من يحمل راية الحق وراية التوحيد والعلم والذبِّ عن الدين ضد المعتدين.

***

الأقلام المأجورة

لمعَ في ذهني كيف يقع الإنسان صاحب المَلَكَة في الكتابة والعلو في الدراسة أو الثقافة أن يؤجِّرَ قلمه فأصابني من ذلك خوفٌ شديد ورعشةٌ أراها في يدي قبل قلمي وأنا أخطُ هذا المقال، فنظرتي للواقع وحال الناس اليوم وضيق الحال وقلة زاد الإيمان والتوكل على الناس دفع البعض إلى التوجه لتأجير أقلامهم بعد أن نفذَت مقدراتهم وتكالبت عليهم الأيام وضاقت الأرض بما رحبت بما ضُيِّقَ على الناس وكيف سيق الناس سوقا للاعتماد على نُظُم حياة اجتماعية لا ينفع معها الزهد والترشيد الذي يسد الرمق فمتطلبات الحياة فَرضَتْ على الناس نِظاماً معينا ونسقاً يصعب الانفكاك عنه وقُسِّمت الحياة بطريقة تفرض على الإنسان الدوران والاستمرار في الدوران حول البحث عن لقمة العيش تلك اللقمة التي وجبَ توفيرها بكرامةٍ للجميع ووَجبَ معها إيجاد المناخ الاقتصادي والدعم الكافي لإعانةِ الناس في شؤون حياتهم لكن الواقع يفرض للأسف عنواناً وشكلاً آخر عن الأصل المجتمعي العالي والراقي برقي المعطيات ورقي التعامل والعدالة المكافئة للحرية العامة والاجتهاد.

لذلك نرى للأسف بعد الفراغ المادي وضيق الحال يتوجه البعض ليصبحوا قلماً مُستأجراً لا يكتبون إلّا ما يميله من يدفع لهم ولو كان على حساب تلك المبادئ التي كانوا يدعون إليها ويحاولون بجمال ونقاء قيمهم سابقاً أن ينشروها راجين إيجاد الكمال والجمال في تلك الدائرة الاجتماعية التي هم فيها ويتشاركون فيها مع الدوائر الاجتماعية الأخرى فيحصل بذلك المقصود وتعم الفائدة وتبرز الخيرية في أكثر الأوجه وعلى كل

نطاق ونعود ونتأسف مرة أخرى فيصبح القلم هنا تابعاً مقيداً بِرغبات المانح ويُملى عليه تلك الخطوط الفكرية والقواعد الدخيلة المجتمعية أو السلوكية التي وجب عليه أن يدور في فلكها فيصبح لها مروجاً وإن كان فيها غيرَ واضح كمن كان لها وليداً أصليا لكنها تصب مع غيرها من نتاج أقلام أخرى لترِوج لما كان في الماضي مرفوضاً لصاحب المبدأ وهذا هو الألم بعينه وهنا نرى نزيف الحبر على ورقات المطلوب وتصبح تلك الأوراق البيضاء سوداء المعنى والمطلوب ليس لسواد الحبر لِذاته بل لأنَّها تخالف أصول القيم وكامل الأخلاق وعلو الأصل.

ومثال ذلك ليتضح المعنى ما نراه من بعض المثقفين الذين مالوا لتبني الرؤى الغربية والأفكار الدخيلة والحداثة الهجينة وجعلِها مركزاً جديداً يصلح للصرح الثقافي الجديد والحياة الاجتماعية والمدنية المطلوبة، فبعد أن كُنّا على مدار قرون نرى ذلك من الكبائر أصبحت بعض تلك المدخلات تَلقى بعض القَبول للبعض بل وتأييداً من الآخر ونصرةً محمومةً من آخر ممن غاب عن دروس الأصل الأول، ولننظر لبعض كُتّاب الحداثة وبعض المفكرين الموالين للغرب كأنَّه احد أبنائهم فيتضح المعنى أكثر ولنقرأ بعض القوانين والحريات الكاذبة التي زُرعت في داخل مجتمعاتنا نفهم ونعي ما نقصد وأكثر وعند إعمال فهم عقولنا لكتابات من يزعم أنَّهُ من المثقفين من الذين يتجرؤون على الأصول الخاصة بنا ويضعفونها وينافحون عن تراث الغير ويتبنون آرائه ويروجونها في مقالاتهم ومقابلاتهم ندرك خطورة ذلك والقادم للأسف إن لم نغيره فهو أخطر.

الحداثيون

إنَّ مختصر التعريف للحداثة بعمومها مع وجود ذلك التعدد الظاهر لماهية تناولها المعتمِد على الجانب الذي تتحرك فيه فكرياً كان أو مادياً أو اجتماعياً...الخ.

فَإنَّها توجه فكري قائم على ذلك المجهود والحركة الفكرية والنقدية التي تدعو إلى التجديد والثورة على القديم في هيئة حرية عقلية غير مُقَيَدَة وأطروحات بعيدة عن الارتباط بالتراث وقوالب الأصول والثقافة السائدة المتواتِر الأخذُ بها في المجتمعات الإسلامية.

وإنَّ هَمنا هنا هُمْ شُخوص وعقلية الحداثيون الذين تناولوا بجديدهم التالف التراث الإسلامي وظهروا حديثاً بتركيز واضح في المجتمع الإِسلامي، والذين هم صورة تعكس اتجاه وفِكر بعض مثقفي الغرب الذين تعاملوا مع النصوص المقدسة كنصٍ قابل للتأويل والأنسنة (الاعتماد على الإنسان فقط في الفِهم والقياس دون اعتبار للوحي).

بعد التجارب المتصادمة في الغرب انطلاقاً من فترة الثورة في العصور الوسطى وحتى وقتنا، فقد ظهرت عندهم العديد من الدراسات والنظريات التي تتعامل مع الدين كجزء ثانوي وتجربة تاريخية تعلقت بزمانها ولا يصح الأخذ عنها كمصدرية وأساسٍ في الاعتقاد والتناول العملي أو البناء المجتمعي، ولمّا تعددت تلك المفاهيم وازدهرت لتبنيها من قِبَل رواد الحداثة والتنوير وأفراد المجتمعات الغربية نتيجة تلك الرواسب الذهنية والانطباع عن التجارب والأزمنة والتي كانت فيها السلطة للدين

فخرج حينها الكثير ممن حَيَّدَ الدين عن المجتمع وعن الأنظمة البشرية فيه، وتناولوهُ على أكثر من وجه، فمنهم من ألغاه بالكلية ودخل في أحلاف العلمانية أو الإلحاد أو الإنكار، ومنهم من حَيَّدهُ وجعله جانباً شخصياً متعلقاً بالفرد ليس له شأن بالعام ومنهم هؤلاء مَقصِدُنا وهم من أراد إيجاد التعديل لوجهة النظر للدين وآليةِ اعتباره.

فخرج من تلك الحقب من دعا إلى الحداثة وفَهمِ النص والتراث الديني بناءً على الفِكر والمفهوم الجديد، وهنا نفهم أنَّ تلك التجارب المهترئة في الغرب كانت هي مصدر الوحي الفكري والقاعدة التي عَمِلَ عليها حداثيو عصرنا والذين ينسبون أنفسهم عادةً للإسلام ويزعمون أنَّهم أتوا بما هو جديد ومستحدَث والواجب بنظرهم إتَّباعهُ وإعْمالُهُ في التعامل مع التراث الإسلامي والأصول التي يقوم عليها الإسلام، فهم يريدون إسقاطَ التجربة الحداثية الغربية على الواقع الإسلامي وجعلها مُتَبناة وذلك أملاً عندهم بتحصيل ما حَصَّله أسلافهم فيما وصلوا إليه من علو حضاري وفهم إنساني وهذه التخبطات وتلك الأعراض التي أُصيبوا بها بعدما أصابهم مرض أسلافهم أرادوا نقلها لبلادِ وعقول المسلمين وإنَّها بكذبهم هي التجربة الإنسانية والحديثة التي أثبتت نجاعتها.

فأخذوا بالثورة والتمرد على التراث الإسلامي وتعاملوا مع النصوص بطريقة وفِهم لا يعترفُ بالقداسة الملازِمَةِ له والعِصمة الأصلية واعتبروه كنصٍ قابل للتعديل أو النقد وإنَّ التجربة الإنسانية هي المعيار الأوفى والاستمرارية في التطور والتحديث في التحصيل المعرفي والأنسب في الاعتبار والبناء.

وبعبارة أخرى فهؤلاء الحداثيون الذين ينزِعون إلى التقدمية الكاذبة أو التحررية والتحديث للماضي ووضعه في صورة قالب حضاري حديث الفهم والأخذ، إنَّما هم نَتاجٌ للتعلق بالغرب، وأُطروحاتهم مع نفاقٍ لديهم في القلب وغياب عندهم في القواعد الإيمانية وقُدسية الأصلِ وما يحملون من ثقافة عامة ما تعلموها لخير بل تجميعاً ذاتياً غير قائم على مناهج وقواعد شرعية، فاغترفوا عن كل أحد وقلدوا كل أحد واعتقدوا بذلك أنَّهم وصلوا بالاجتهاد المُستَحدَث من خارج الفِهم الشرعي بِظنٍ من عند أنفسهم أنَّ لهم القُدرة على تصحيح الثوابت وما اجتمعت عليه الأمة من تتابع وحفظ وكفاية ذاتية وقد ساعدهم في ذلك أنْ غرَّتهم أنفسهم بوحي شياطينهم وغَرَّهُم من تبنى فكرهم وتبناهم معها وَقدَّم لهم المناخ المادي أو التقديمي لبث ما يعتقدون ونشرِهِ على أكبر قدر ممكن في الشرائح المجتمعية والأماكن الإعلامية.

فتراهم يَتَصدَّرون بعض القنوات الإعلامية ويتجرؤون بطرح أفكارهم وتَجدُ كتاباتهم وأفكارهم مُتبناة وميسرٌ لها في العديد من دور النشر والمراكز الثقافية والذي يفهم منه واقعاً ملموساً أنَّ أدوات العداء للإِسلام تساند بعضها بعضاً وتُيَسِر لبعضها تنفيذ ما يؤمل من تحقيقه في مرادهم العام.

والحداثيون إن صحَ قولي عنهم فهم ظاهرةٌ مرضية وفيروس ثقافي عقلي يصيب الفِهم العام لإدراك ومفاهيم التعامل مع الأصول لإيجادِ دينٍ ممسوخ يتوافق مع ما هو خارج الإطار والفِهم الإِسلامي، وإنَّ المتتبع لبعض هؤلاء المُستَأَجَرين ليجد أن منهم من كان في حالة صدمة مع موقف فتجرأ على كل شيء وأصلِ كل شيء والتحق بركب

الغربِ ومفاهيمه، ولو كان عاقلاً مستنيراً كما يَزعُمْ لَصحَحَ ذلك الموقف وأبدى نقاء الأصل وليس كما فعل بأن بَرَرَ ما أصابه بأَنَّه ناتج عن التعامل مع الأصل وقصورُ ذلك الأصل سبب في حدوثه.

وهناك منهم من تأثر بالآخر من غير المسلمين فتبنى فِكرَهُ وأراد تقليده وكأنَّه هنا بلغَ من الغباء بمنزِلةٍ أنَّه لم يقدر أن يَعقِل أنَّ هنا أرض إسلام ودين إسلام وتجربةَ إِسلام والتي حملت معها كل خيرية وعلواً في التقديم وإِدراك المحيط وتَنظيمِه وفقَ أمر علوي ومنهج كامل لا دخل لليد البشرية في إيجادهِ أصلاً، وإِنَّ من أَخَذَ عنهم تتابع في التجارب بين الاستغلال للدين والنفور عنه أو تحييده فكيف يمكنهم أن يتدخلوا في أمر علوي ويسقِطوا تجربة كانت عند غيرنا ويجعلونها كحالنا أليس هذا من غياب العدل وغياب الإيمان.

وهناك أيضاً فِئة منهم ما هم إِلّا عبارةٌ عن عقل وقلمٍ مُستأجر يُؤمر به فينفِذ فأينما يوجهه أصحابه يتكلم ويَجترأ، فكان هذا من داعميه خروجٌ من الصورة ووضع من يَنتسِبُ إلينا بأنَّه يهتم لأمرنا وَوَجهٌ حديث في فهم الدين، هذا الدين الذي هو عِصمةُ أمرنا ومحفوظ من ربنا فبئس ما يكيدون وبخبث عقولهم وسرائرهم يفعلون.

فالذي نريده وهو الحق ليست الحداثة بإيجاد دينٍ تابعٍ للإنسانية فَهماً وتعاملاً يقبلُ ما يوافِقُها بنظر عقول أصحابها أو يوافق النظريات القاصرة الجديدة فهذا ليس بدين بل هو خليطٌ مُستحدث ليس لنا حاجة به ولا بمن يرضاه، وإِنَّما الحق لمن أراد أن يخدم المسلمين إن حقَّ جُهده ونيته أن يجدد النشاط والفعالية في الرجوع إلى الدين

وامتثال أمر رب العالمين ونشر الدعوة وتعريف الناس بِمنهج رب العالمين وِفق ما أمر ووفق مرادهِ سُبحانَه من خلال أصوله من القرآن الكريم الذي لن يصيبه ولم يصبه أمر مما يكيدون ووفقَ سُنَّةِ وسيرة نبينا الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم وبِفَهمٍ عَنْ أولِ من وردَ مورد الدين عليهم الرضوان أجمعين، فهذا ما نريد وهذا هو الحق وغيره باطل وما هؤلاء الذين تطاولوا إِلّا أُناس بقلوبِ شياطين أو إنَّهم منافقين.

بث حزن !

مما يزيد القلب كمداً والعقلَ حيرةً فئةٌ خرجت قلما تَجدُ لها قراراً أو تعرف لها نسباً أو تضعها في قالب التعريف والبيان، وليس هذا لضعف الرائي أو الناقد بل لميوعة وشوائب المرئي والمُتكَلم عنه، فهذه الفئة هي مزيجٌ متباين من سقيم الأفهام وأخلاط العلوم والكلام، ليس لهم قرار ولا هم في طرحهم أحرار بل منقادين لمتشابه الأفكار، يجادلون بغير علم ويتكلمون بغير فهم، تائهين وناقلين الحيرة والتيه لغيرهم، هم جمعٌ جمعَ نُتفاً من شتى العلوم غير ملتفتين قصداً أو جهلاً لعلو المصادر أو صحيح الصادر ويتكلمون في شتى الفنون وليس لهم مرجِعٌ ظاهر، يأخذون جزءًا ويبنون عليه الكل، لم يرتفعوا إلّا بشبهاتهم وجراءة أفكارهم والمصيبة أنَّ منهم من كان يُنسب لأهل الإسلام ويؤدي الفرائض لكنه مُشوشٍ على أهلِ الدين مُلبِسٌ على الناس حياتهم.

تراهم فتعجب من أمرهم وطريقة طرحهم، يدخلون في أبواب المتشابهات والغرائب ويجعلونها بما مالوا إليه من المُسلَّمات ويرموا معها معارضيهم بالفلتات وضعف الإدراكات، وهؤلاء لا أعرف حقيقةً أين أضعهم في أهل الكلام أم الفرق

المائلة أم العقول التائهة، وإنَّك لترى منهم بين الفينة والأخرى فَتَعجَب مما ترى وتحزن لمن هذا حالهم.

وكوصف أدق لحالهم فهم أشخاص منفردين ليسوا على جماعة أو متحدين على مبادئ وقوانين بل هم أجسادٌ تحمل عقولاً جمعت من هنا ومن هناك فأصبحت تناظر وتضرب بآرائها الآخرين فتارة تجذبك أفكارهم وتارةً تصدمك خيالاتهم والحقيقة أنهم ليسوا على شيء، لكن خطرهم بما يوقعونه على العامة وما ينشرون في قنوات التواصل وبمساعدة من تبنوهم إعلاميا وتقديماً من تلك المُستحدثات التي تترك أثراً على البعض ممن كان قليل المتاع من العلم.

وأعيد القول فهذه الشخوص الفكرية السائبة ممن لم تجد لها قالباً مُؤصِلاً ولا توجيهاً مُعلِماً فما هي إلّا فَلتاتُ أذهان اعتقدت أنَّها شيء وما هي إلّا فقيرةً تجيدُ مسألةً وتتعرى في الكثير، فلا يصلح الأخذ عنهم ولا أن يُسجلوا في دواوين العلم والعلماء فالحذر منهم ولا يُنصح بمجادلتهم إلا من عالم وذلك لسقيم أمرهم وضحالة فكرهم وما قد يتركوه من أثر سيء وشتات حال، ولو كانوا على خير لرجعوا إلى أهل العلم فاستقامت قناتهم لكنهم مالوا واتخذوا سبيلاً ليس عليه أهل الأصول ومقياس العلوم مما أجمعت عليه الأمّة وكان الخير كُلُه فيه.

***

الغزو الفكري

نقف هنا أمام هجمات متتابعة وتخطيط واسع وشكل آخر من أشكال الحرب على الإسلام، ولكن هذه الجديدة لم تكن كسابقاتها مجابهةً بالسلاح وسالت فيها الدماء مثلما حصل في الحملات الصليبية سابقاً على بلاد الإسلام وتبِعتها دول الاستعمار في حملاتها الجديدة والتي تعتبر امتداداً لذات الهدف والمشتركات في العداء والتي فيها أزهقت الأرواح وانتهكت البلاد وأُبيدَ العباد.

فهذه الحرب الحاصلة الآن (الحرب الفكرية) -وكانت سابقاً بشكل أخف- اتخذت شكلاً ناعماً لا تُستخدم فيها الأسلحة المادية بل الجهود البشرية والطاقات العقلية والتي لا تستهدِف الأجساد والأماكن بل تُوجِه سهامها الفكرية وأسلحتها المعنوية نحو العقل والفكر والهوية الثقافية والشخصية الإسلامية للأفراد، وهذه العملية الهجومية والتي هي حرب ثقافية أو غزو فكري لواسعة النطاق ومتعددة الأذرع تنال كل جانب يخص الإسلام وما يكون له تأثير على أفراده وعلاقتهم مع الإسلام ومدركاتهم عن أنفسهم وفهمِهم لدينهم.

فالشخصية الإسلامية تتمتع بتفرد إيجابي وعمق في علاقة الفرد مع منهجه الذي يسير عليه ويعتبره المقياس الذي يحتكم إليه في كآفة شؤون حياته والذي من خلاله يُكَوِّن ذلك التصور السلوكي والنظري في التداولات والأحداث التي تمر عليه والذي يُشكل أيضاً الاتجاه العملي لديه نتيجة لذلك التصور، فالإسلام في علاقاته مع أتباعه قام بإحاطتهم بإحاطةٍ كاملة وبتوجيه مثمر يصب في الخيرية والارتقاء الإيماني والعلو في

القيّم ومثالية التحصيل المادي والمعنوي في العلاقات بين الجميع، وهنا لعِلم من أكن العداء للإسلام ذلك، توجهَ بِجُهد عدائه لهذا التوجه الجديد الذي يراد منه إيجاد تلك الهوة والشرخ بين الإسلام وأتباعه، وبين المسلمين أنفسهم، بأن يضرب تلك الصورة العملية ويوجِد ذلك الخلل في مراكز التصور والأخذ عن الثوابت والتراث الإسلامي فعمَدَ إلى الذهاب إلى طريقة التعليم والفهم عن الإسلام في كآفة أدواره منذ بدأ التنشِئة وحتى وصولا لتناول وتطبيق الأحكام العامة فأوجد فيها ما يثير الالتباس والتشويه العام والاختلاط بين الأصل والمُستحدث الذي جُلب من خارج الإطار والفِهم الإسلامي والصق به معتمداً في ذلك على أدواته التي زرعها في المجتمع الإسلامي من تابعين أو مستأجَرين أو مِمَّن كانوا يحملون عقولا وأفهاماً مشوهة يناوئون بها الدين فعمِلَ على استغلالهم وتقريبهم إمّا بالرعاية أو بالعلاقة التي أرادها هؤلاء برغبتهم طواعية أن يرتبطوا معهم لأنَّهم يتبنون نفس النهج الفكري حول الدين فأرادوا نَسَباً سفاحاً ينتسبون فيه إليهم تقرباً.

وقد فعلوا وتم تبنيهم وتسخيرهم، فلباسُهم وأسماءهم العربية والإسلامية خدمت أسيادهم بأن نقلوا المعركة إلى ساحتنا، وكان هناك أيضاً بعض البيادق التي تُحرك هنا وهم ممن يزعُم أنَّهُ من بني جلدتنا وحقيقةُ ولائه لغيرنا.

وهذا الاعتداء الفكري والغزو الثقافي لم يكن قاصراً على وقتنا هذا، فجذوره ممتدة منذ قديم، ولعل أقواها في الزمن الحديث ما كان بدأ في دَور المستشرقين وبدايةِ عملهم بتلك الدراسات والجهود التي بذلت ليس لغايةِ دراسة الآخر بما يستفاد من

تجربته الحضارية أو علومه المادية بل كانت دراسة إستراتيجية لمعرفة نقاط قوته وضعفه تمهيداً لغزوِه واستخرابه والنيل من مقدراته والطعن فيه، والتي أثمرت عندهم بأن وضعوا المراجع والأسس التي يخترقون فيها الإسلام ويلوثون جوه العام ويطعنون في ثوابته وينالون من رموزه، ولم يكن هذا على طريق منصف أو حيادية بل كان بتوجهٍ خبيث وسوء سريرة وعداء غاية، فاقتطعوا ما يريدون واختلقوا ما به يكيدون وأضافوا ما يشوهون فكانوا بجهدهم وجمعهم ذلك مرجعاً ساماً وشبهات حاضرة لمن كان بعدهم والذين استقوا منها ما يحاولون به أن يلقونه أو ينسبونه كذباً بالإسلام – الذي هو منه براء – وعلواً ضالاً منهم بأنَّهم كتبوه في كثير من جمعِهِم بِفَهمِهم هُمْ وبأنماط تقديرهم واعتقادهم ولم يراعوا أدنى درجة من الإنصاف بأن عدالة النقل أو الإخبار وَجَبَ أن تكون بلسان وفِهم الأصل وليس الناقل، وهذا نراه كثيراً في تلك الشبهات والافتراءات التي ينشرها من حمل النفاق في قلبه والمرض في عقله وينسبها للإسلام.

وبعد تلك الفترة الحالكة والجهود الهالكة نزعَ من حمل العداء إلى استقطاب من رأى فيه أداة لتحقيق غايته، فهيئوا المنح والمشاركات الثقافية والتعليمية وأحاطوا هؤلاء بهالةٍ من البريق الحضاري والتقدم المادي وكيف أنَّ أفكارهم ونظرياتهم ونهج حياتهم العلمانية أو المغايرة للاتجاه الإسلامي في كثير من أوجهها هي القاعدة والمُنطلَق للوصول لهذا المستوى الحضاري، فَتشرَّبَ بعض هؤلاء ذلك النسق وتلك التجربة فعادوا إلى بلادهم حاملين معهم أفكار الغير ومفاهيمه مما ليس من نهج الإسلام وبَثوهُ سُماً في عقول تلامذتهم وعلومهم التي نشروها في بلادهم ونادَوا بالتنوير والتصحيح والأخذ

عن الآخر للارتقاء إلى قريب مستوى وصل إليه واعتماده كمقياس صالح يُأخذ عنه إضافةً لتلك السلوكيات والقيَّم التي جلبوها معهم وتَلقَّفَها ضعيفُ الإيمان وتداولها وأخذ بها، وأثناء تلك الفترة قامت تلك الدول الراعية للغزو الفكري والثقافي بوضع العديد من المراكز والمدارس والهيئات وتفعيل النشاطات وتأسيس الجامعات التي تنشر المفاهيم وعلوم الماديات والفلسفات وعلوم السلوكيات داخل المجتمع الإسلامي والبلاد العربية.

فحَصلَ بذلك أن أدخِلَ على المجتمع من عديد اتجاهات أفكار وفلسفات ومفاهيم وسلوكيات لا تتوافق مع الإسلام أو تتناسب مع مفاهيمه فَعَمِدَ الكثير ممن تبنوا ذلك الجديد والمُستحدث على إضافة صيغةٍ شرعيةٍ بسيطة ليجعلوه مُتقبلاً لدى الأفراد ومأخوذاً به، وتلا ذلك بزمان أن ظهر من ينادي علانيةً بالأخذ عن الغرب أو التبني الكامل لتجربتهم واستنساخ أفكارهم وأصبحوا يروجون لبعض المُدخلات على أنَّها هي الأصل أو تابعة للأصل، وأُظهرت حينها وبرزت تلك الفئة من المنافقين أو المُستَأجرين الذين ليس لهم همٌّ ولا جهد إلّا بالطعن في الثوابت وإذكاء نار الفتن والشبهات والتي يرجعون في جلِّها إلى أجدادهم من المستشرقين.

فكان عَملُ هؤلاء ومن ورثَ فكرهم هو النيل من الشخصية الإسلامية وارتباطها بتراثها وإيجاد ذلك التنازع الداخلي حول علو الأصل ومكانته، وإيجاد النزاع المقصود أيضاً بين الجماعات الإسلامية مع غير الإسلامية من ليبرالية وعلمانية والذي تولَّدَ عنه حالةٌ من الانقسام والظهور بمظهر الاضطراب أمام الآخر من خارج الدول

الإسلامية وإيجاد نوع من الضعف في نشر الثقافة الإسلامية على الوجه الأكمل والفهم الأمثل؛ فحالة الاختلاط والتيار السلبي تحاول أن تقف سداً دون بلوغ الشريعة والمنهج الإسلامي مكانته الحقيقية، إضافة إلى تلك الأجندات التي ينفذها الآخر من خلال هذا التنازع باستغلاله بما يحقُّ مآربه ويطمع في تنفيذه، وبذلك دخل الأفراد في المجتمعات الإسلامية في دائرةٍ مركزةٍ من التكرار الفكري الهادم والإعلام المدسوس والشبهات وجديد النظريات والتي هي غزوٌ فكري يراد منه النيل من المدارك العقلية وفعالية التطبيق للشريعة والأخذ عن الأصول والتراث وذلك لإلحاق أشد الضرر بالمسلمين وبتاريخهم ومما بينَ أيديهم فيُشكِلُ ذلك بنظر الغازي مجتمعاً متضارباً قابلاً لإملاءات الغير والاندماج في قِيَّمه ومفاهيمه وسلوكياته.

ولذلك فمما يجدر العمل به والنشاط له ضد تلك الحرب الظَلوم والهجمةِ الغَشوم أن نُدرك ما يفعلون فإسلامنا يملك المناعة في ذاته، ويوجِدها لأتباعه ممن به يأخذون ولشريعته يطبقون وعلى ربهم يتوكلون، فوجب نشر التوعية وبيان الخطر المحدق بنا وتنقية الجو الفكري من ملوثاتهم بإبطال أعمالهم وكشف أمرهم وذلك باستخدام ما لدينا من أساليب مشروعة وقدرات عالية من علماء مخلصين ودعاة موجِهين فنكشف عَوَرَهُم ونُفَنِّد شبهاتهم ونُنَقى الإعلام والتعليم من لوثاتِهم ونبيِّنَ الأصل وجماله وكمال أحكامه وقَدرَ رموزه وعلو أخياره، فنحن على الحق وما رضيه الله سبحانه هو الأحق بالإتباع والامتثال به على ما علمنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والتسليم وبفهم الأخيار الأولين رُضوان الله عليهم أجمعين، وهناك واجب مفروض على من ملك القرار وحَكَم

المسلمين بأن يمنع التعدي على الدين، وأن يضع الحدود التي تمنع الفاسدين من التعرض لديننا الذي هو عصمة أمرنا ونهج حياتنا وفيه في الدنيا والآخرة فلاحنا.

***

مركز تكوين الفكر العربي

اجتمع أحفاد السامري وأخرجوا للناس صنماً فكريا جديداً وجَمْعُهُم دلالةٌ عليهم قبل قراءةِ أفكارهم، وشخوصهم تعريفٌ بطموحهم وقواعد مرادهم فمنهم اللاديني ومنهم المتشكك ومنهم من لا يحمل من الإسلام إلّا اسمه ومنهم دون ذلك وأكثرهم من حداثيي هذا العصر الذين لم يُلقَوا إلى مزابل التاريخ والثقافة بعد، والخلاصة هم جمعٌ من المنخنقة والموقوذة والمَيتة وما أكلَ السبع.

تم الاحتفال في المتحف المصري بتدشين والتأسيس لمسجد ضِرار الفكري في مصر العزيزة تحت مُسمى مركز تكوين الفكر العربي وهذا المركز وهذه المؤسسة الفكرية تتبنى بزعمها فكرة تطوير خطاب التسامح وفتح آفاق الحوار والتحفيز على المراجعة النقدية وطرح الأسئلة حول المُسَلَّمات الفكرية والتراثية وإعادة النظر في الثغرات التي حالت دون تحقيق المشروع النهضوي الذي انطلق منذ قرنين كما يكذبون، ومن القائمين عليه نرى أسماءً حداثية وشُخوصاً طالما دارت حولها دوائر الاستفهام والشك في منهجهم وانتمائهم العقدي والفكري.

ومن بعضهم إسلام البحيري وإبراهيم عيسى ويوسف زيدان وفراس السواح ونايلة أبو نادر وفاطمة ناعوت وغيرهم ممن يضيع الوقت بذكره، وهؤلاء جميعهم ومن سَلك طريقهم ما هم إلّا أدوات حداثية أُستعملت بل واستُؤجِرت لتحقيق دور وإيجاد فضاء فكري ملوث وحالة من التشكيك العام بالأصول والتراث الإسلامي فهُم ليسوا وليدي اللحظة بل عقول وأقلام وُضِعَت في قالب الحداثة والعداء للإسلام وقد تمَ

تبنيهم وتقديم الدعم المادي والضوء الإعلامي لهم على مستوى متقدم من قِبَل من أكنَّ العداء للإسلام وأراد ضرب الثوابت الإسلامية والعلاقة بين الدين والمجتمع والأخذ والتناول عن الأصول.

والحقيقة هناك جزئية وجب ذكرها للتوضيح ولنذكرها وجب علينا الرجوع قروناً في مسار الزمان والمكان إلى العصور المظلمة في أوروبا حينما مرت تلك البلاد بحقبةٍ قاتمة تم استغلال المجتمعات والأفراد تحت المُسمى الديني والجبروت الكهنوتي لتحقيق السيطرة على السلطة والمقدرات واحتكار النفوذ المعرفي والمادي للبلاد وبعد حصول الغليان العام والانقلاب على الحكم الكنسي الطاغي والمُقيِد لكل تنوير أو تقدم حصل نفورٌ عام من الدين وظهرت بناءً على ذلك كثير توجهات تلغي الدين أو رجالاته وتعاليمه من التأثير على المجتمع أو أنشطته العامة فأخذت العلمانية والإلحاد وغيرها دَوراً مقبولاً للجميع لِما كان للتجربة من مرارة أثرت على الجميع ونرى ذلك التحييد ظاهراً في الأنظمة العلمانية الواضحة في وقتنا الحالي وانتشار الإلحاد والتمادي على الدين.

ونعود هنا لزماننا الحالي ولتلك النبتة السيئة التي يحاول من عادى الإسلام أو من وَرِث التركة الفكرية عمَّن عادى الدين فيحاول أن يُسقط تجربة تلك الحقبة المظلمة على واقعنا ومجتمعنا وهذا ليس من الإنصاف ولا من العقل في شيء؛ فنحن ليس لنا مثل تجربتهم وليس عندنا رجال كهنوت استعملوا الدين وحرَّفوه لمصالحهم، لكن هؤلاء الأدوات والمُستأجَرين وجدوا من يرعاهم ويتبنى أفكارهم ممن ليس له واقع منهجي سليم ولا إيمان يقينيّ حقيقي أو ارتباط بالأصول.

الخلاصة: هذا المركز ما هو إلّا صورة وتقوية لجهودهم وتعاونهم الآثم جَمَعَ كل سقيم فِكر وصاحب داء فكري وتبعيةً للغير وهو مسجد ضرار العصر الحديث جَمَّع فيه مُؤسِّسيه بالتعاون مع مموليه وداعميه كل فِكر حداثي وثقافي شاذ للنيل من الإسلام والضرب في أصوله ومحاوله نقض جدرانه وإيجاد بؤرة فكرية داعمة لكل ناقلٍ للمرض متوافق معهم سائر في فلك أفكارهم فهذا مركزٌ للهدم الفكري والثقافي أتى لمحاوله وضع الأصول في قالب فكري قابل للنقد وللتأويل حسب متطلبات ورغبات العصر ومعاصريه ضمن التوجيه العقلي غير الملتزم بقيد الثوابت وهو أداة مسمومة طُعن بها الجسد الإسلامي وقاعدة لنشر أفكارهم وجذب الضعاف والمتشككين لتحقيق رغبة من عادى الدين.

ولو تتبعت البئر الذين يستقون منه أفكارهم وتوجهاتهم لرأيت الشيطان على بابه يسحب لهم الرِشا ولو نظرت لداعميهم لذهب عنك العجب، ولمن أراد التوسع في فهم معنى الحداثة ومن تَلون بها فليُراجِع ما كُتب بعنوان الحداثيون وهو منقول من كتابنا لماذا اخترنا الإسلام ولماذا يعادونه.

***

الأصول والحداثة

الإسلام هو المصدر الرئيسي والوحيد للمنظومة الثقافية والفكرية في المجتمع المسلم وهذا يكون إمّا عن المصادر الثابتة والأصول أو ما كان من روافد الفهم والعِلم عنه ويدخل أيضاً ما يقع تحت الموافقة العامة منه فيما يكون في المساحات الإنسانية المشتركة التي تُركت للمجهود الإنساني، لذلك فالتوجه الكلي الحركي اعتقاداً وإيماناً وعملاً لا بُد أن يكون برؤية وامتثال شرعي وليست هذه الحاكمية العامة للشريعة ومنظورها هي خروج عن الأصل بل هي ذات الأصل في تلك العلاقة الحقيقية بين الإنسان وغاية الوجود وبين الإنسان وتعامله مع الموجود وهذا الفهم الخاص المتمثل بالتطبيق والاعتماد الكامل على الأصول وما انبثق عنها عن طريق الوحي ابتداءً وتبليغ النبي عليه السلام اقتداءً لا يعتمده بهذا الاعتماد إلّا أهل الإسلام لأنَّهم أيقنوا دورهم في الوجود بالتسليم والإتباع ومن مستلزمات هذا اليقين ومعتقد الاستخلاف الأخذ الكامل عن المشرِّع والموجِد والتحرك في دائرة الشريعة التي وضعها الخالق سبحانه وفق إرادته وتنفيذاً لأوامره للوصول إلى الغاية الأكمل وهي إقامة منهج الله سبحانه وفق ما أمر وبلغَّ بذلك الرسل بكيفية ذلك الأداء، ويرافق ذلك الامتثال المثالية والخيرية في كل جانب وتَحَرك يتحركهُ الإنسان من خلال تلك العبادة الدائمة التي يقضيها أثناء حياته في دار الاختبار ويحاسب عليها في دار القرار.

لهذا فهذا هو الإسلام وهو الأصل الأوحد الذي تفرد بالكمال حين بدأ مع بداية البداية للبشرية وسيبقى متفرداً بالكمال بحيث لا يحتاج إلى غيره فكمالهُ من كمال موجِده

سبحانه فسعة علومه وعلو حكمته وشمولية تعاليمه وفريد اتزانه وتنوع أحكامه وعظمة أركانه وعدل تناوله وسماحه نظرته وجمال مُبلِّغِه عليه الصلاة والسلام في خُلُقِهِ وخَلقه وامتثاله لدليلٌ كافٍ وافٍ على قدرته وعدم احتياجه إلى غيره، وإنَّ من يريد التحديث كما يزعم فلا يأتينا من خارج هذا الإطار ويجلب معه شَتات الأفكار وسقيم العقول يريد بها إنشاء إسلامٍ على هواه أو فكر تابع لمن لا يرى الإسلام ديناً يتَّبِعهُ أو يؤمن به حقاً كمنهجٍ شامل فكيف يستقيم أن يأتي جسم ينسِبُ نفسه للإسلام وعقله وفكره أسيرٌ عند غيره من غير الإسلام ويريد أن يوفق هذا مع ذاك وأن يوجِد الجديد التالف وفق هواه وهوى من ابتعثه؟

فهذه الطريقة وتلك القسمة ما أريد بها إلّا الإمعان في التبعية وفقدان الهوية أو هي بالأحرى أداةٌ عدائية للنيل من هذا الدين وكمالِ قَدرِه والعمل بمقتضاه والإيمان به وتمام إتباعه، ومن ينادي بالتجديد ويريد بذلك الخير فالأولى به والواجب عليه إحياء القيّم الإسلامية الأصيلة والتعريف بالدين وبيان أمره وتنشيط الدعوة إليه والعمل به وامتثال أحكامه وتطبيق شرائعه ونبذ وصرف كل ما يحاولون نسبته إليه من ضلالات المرجفين ولوثات الحاقدين فهذا هو التجديد المأجور فاعله والخيِّرُ صاحبه الذي يبذل وسعه وجهده وإعمال عقله منافحاً عن الدين ومبلغاً ناقلاً لأحكام رب العالمين وموضحاً لفعالية التوجيه في مواكبة كل ما هو نافع من المشتركات المادية والعلوم الحياتية والضرورية وإيجاد الاستقلالية الفكرية وعودتها للحالة الأصلية ضمن مفهوم وتعاليم الإسلام وهذا عندنا هو التجديد كأهل الإسلام وما كان غير ذلك فلا يلزمنا فنحن أمة

ذات خصوصية وكفاءة وشريعة جعلتنا خير أمة وحاملين لراية الدعوة للعالمين أمّةُ بناء وارتقاء ولسنا كغيرنا ممن ضَلَّ وأضل ويَحسبُ أنَّهُ بما ملك من بريق المادة الزائف أنَّه على الحق وهذه هي لغة الدونية التي يحاولون بثها وإتباعها من الآخرين ويجلسوا هم على كرسي القيادة لها والتحكم بالآخرين من خلالها، لذلك فالخلاصة نحن كمسلمين لا نتكلم إلا بما ارتبط باللغة العلوية لغة التسليم وإتباع منهج الرحمن والاسترشاد بالإسلام ولا يعنينا تلك المفردات الدخيلة من جانب من اتبع الشيطان. ولكل نبا مستقر وسوف يعلمون.

***

النسوية

باختصار لفهم معنى النسوية نستطيع القول بأنَّها حركةٌ اجتماعية تطالب بالمساواة للمرأة، وبمعنى يفضله بعض القائمين عليها هي فلسفه فكرية تدعو للمساواة بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات وترفض التمييز أو وضع المرأة في دور غير تنافسي أو أقل من الرجل.

مما طفح على العالم من إرث عصر التنوير في أوروبا من سقيم الأفكار وسيء الجديد المناهض للأصول والقيم وراسخ جيد الأخلاق والتداولات الاجتماعية المحمودة ما يسمى بالنسوية تلك الحركة التي وَضع لها بعض النسابون للحركات الاجتماعية أو الفكرية بأنَّها بدأت في القرن التاسع عشر بمجهودات نسائية فردية تُطالب بِقَدَمِ المساواة مع الرجل وحرية التصويت والدخول في معترك القرار مع الرجل، وتوسعت مع تقدم الزمان وتعددت المطالب وامتدت للحرية العامة والاستقلالية الاقتصادية والسماح بالمشاركة الفعلية في الدوائر العامة والسياسية، ومع توالي الأيام ظهر أيضاً من يدعو أو بالأحرى تدعو إلى الاستقلالية التامة للمرأة والحرية غير المُقيَّدة ونزع القيود الاجتماعية عن المرأة وإلغاء دور الوصي أو الولاية عليها.

وَوَصلت من بعضهِن تبني النسوية كحركة فلسفية إقصائية للذَكَر في الحياة الأنثوية، والمتتبع لهذه الغدة السرطانية الفكرية والسلوكية في المجتمع الإسلامي أو العربي يجد تلكم الشخصيات النسوية اللاتي يضربن بأفكارهن وجمعياتهن كل قيّم المجتمع وما تناقل من محمود العلاقة بين الطرفين والأدوار الاجتماعية التي كان الناس

عليها منذ قديم فيضرِبنها عرض الحائط بل وتجاوزن في غيِّهن بالتمرد على حكيم وثابت النصوص التي وضَّحت وبيَّنت العلاقة والفروق والواجبات بين الرجل والمرأة؛ فهذه التي تتبنى الفكر النسوي على درجات فمنهنَّ التي تُطالب بالحرية التامة والانفراد في الشخصية وعدم التعقيب على جديد السلوك حتى لو كان في نظر المجتمع والمفهوم العام يُعتبر انحلالاً أو تمرداً على منظومة القيم السائدة.

ومنهن من تجعل نفسها كمن ينافح ويدافع ويرفع ما أصاب بني جنسِهن من مظلوميةٍ مزعومة على مدار التاريخ الإنساني فيحاولن إيجاد نمط اجتماعي جديد يكون فيه الرجل والمرأة بلا فرق وحتى ذكر الفرق يعتبر تعدي وتمادي على الحقوق الجديدة لهكذا فكرة، وهناك أيضاً فئة تحمل بعض القديم من الالتزام فتحاول التخفيف في المطالبات وإعطائها نكهة البحث عن الحقوق والمساواة المفقودة.

الخلاصة: هذه حركات ظهرت على الساحة عندما غُيِّبَ الوعي العام الشرعي والالتزام بالأصول والمنهج الإسلامي وما هي إلّا نتاج اجتهادات غير منضبطة ونبتةٌ يحاولون زراعتها في أرضنا الاجتماعية والفكرية والسلوكية وما تلك الحركة الجديدة وغيرها مما شابهها إلّا تجارب فلسفية وعقليه قائمة قائمة على شخوص ليس لهم امتثال لأصول ولا قيَّم أو هم ممَّن دخلوا أبواب التقليد والدراسة الاجتماعية والنفسية عمَّن تبنى المادة أصلاً والهوى فكراً والعقل مرجعاً والانفلات حريةً والدين قيداً.

***

القيّم الدخيلة

انقلبت الموازين عند البعض في هذا الزمان وتداخلت مفاهيم القيّم على نحوٍ أصبح من الصعوبة أن تُمَرِرْ الصحيح منها للتطبيق وذلك ليس لأنَّ صحيح القيّم وسامي الأخلاق خَرج عن نطاق الأصل ونقائه وحُسن مُراده بل لأَنَّ بعض الأجيال الجديدة أتت وأتى معها من مَهد لها جديداً مائعاً وسلوكاً منحرفاَ وفِكراَ مُقلَداً ليس بأصيل يهدمُ ما قبله مما كان يوافق الفطرة النقية ويرفع مستوى الإنسانية ويُهذِب الناحية السلوكية.

فالجديد هنا وهو ليس على عمومه يجذب الناس إلى البهيمية بدعوى الحرية ويجعل الغرائز بلا انضباط هي مركز الاهتمام ويجعل الموافقة بين الأطراف هو القانون المعمول به وكأنك ترى ما كان شاذاً فِكراً وسلوكاً هو إحدى الخيارات المتاحة والمُحاطة بالحماية من طَرِف هؤلاء، ولذلك كان الانقلاب هنا بأن احتلت وأخذت حيزاً مُؤثراً بعض التشريعات والتداولات المعترف بها من أطراف ليسوا بقدوةً لنا ولا هم أصحاب مشروع قيَّمي راقي قد احتلت مكاناً في المجتمعاتِ كآفة ونراها جلياً في الغربية منها بوضوح ولكنها للأسف تتسرب إلى مجتمعاتنا المحافظة بِستر المعاهدات والجمعيات والمراكز الدولية المتنفذة وهي لا تدخل عاريةً علينا مرةً واحدة فلا يزال المجتمع عندنا يحتفظ بالمناعة والخصوصية التي تصد مثل هكذا مُتعدي يحاول اختراق شخصيته وتراثه المتين، ولكن للأسف تجد من يُدخِل هذا التعري ويحاول زراعته في أرض مجتمعنا وسلوكنا عن طريق من هُم من أبناء جلدتنا ولكنهم قد لبسوا ثياب المدنية والتقليد الأعمى للغرب وأرادوا إلباس الناس لباس العُري والجاهلية من جديد وتَراهم

يتشدقون بالغرب والمدنية المزعومة تلك المدنية التي لا يفرِّقُ منا الكثير للأسف بينها وبين الحضارة تلك الحضارة التي تحفظها القيّم وعالي الأخلاق والنضوج الفكري والأصول الأصيلة وليس كتلك الشعلة المادية البراقة التي ما تلبثُ أن تنطفئ لأنَّها قائمةٌ على وَقود المادة الصماء والانسلاخ عن الأصول والتراث.

فلكل مادة تاريخ صلاحية لا بُد أن يأتي وقت وتنتهي، ولذلك أُدخلنا مرحلةً صعبة أصبحَ فيها علينا أن نقنع البعض بأنَّ هذا الدخيل ليس هوَ الأصل وأنَّ هذا الدخيل يهوي بالإنسانية إلى مستنقع الرغبات والتقليد والتبعية وإننا يجب علينا أن نحافظ على تلك الشخصية المستقلة المحافِظة ذات الحضارة العريقة والأصول الراسخة والقيّم الخلاقة التي أُسِسنا عليها وأنَّ ما نحن عليه ليس هو الصورة المثلى والحقيقية لواقعنا الأصيل وإنَّنا أفضلُ من ذلك بكثير وأرقى وأغلى من أن نبيع أنفسنا بثمن المدنية والانسلاخ عن ماضينا الذي لا ينفك عن حاضرنا والذي أضعناه لمّا ابتعدنا عن أصولنا وقرَّبنا من يريد الشر بِنا وحكَّمناه بمصادر قوتنا واستقلال شخصيتنا وثقافتنا وهو الآن بعد توالي هَجَماته أتى بثوب المدنية والحداثة بحجةِ تواصل الحضارات ليكمل مهمته في القضاء على جميل ما نملك وعلى رأس مالنا الذي ورثناه عن سلفنا.

فالحذر الحذر مما قد يعترينا وما قد يجعلنا أنموذجاً مصغراً عنهم فعندنا ما يبقينا على خير ويعيدنا إلى الخير واستعادة مجدنا الذي لم ولن يزول وذلك بالتمسك بأصول منهج الحق وقيّم الخير ودعوةِ الخيرية.

***

الإلحاد وتلاشى قيم الأخلاق

إنَّ الرائي لعنوان المقال ليستنبط المحتوى ومُراد الكلمات، فنحن هنا نتحدث عن جانب من جوانب التعامل مع الفكرة الإلحادية الضالة من حيث تعامُلِهم مع مفهوم الأخلاق وأصول الإيجاد لها، فقد أوجدوا ما لا يصح عقلاً ولا نقلاً ولا مصلحةً، ونحن كمسلمين نقف راسخين مع معتقد الإسلام متمسكين بأصوله وما تفرعَ عنه إيمانا وتصديقا وعملاً أمّا من نسب نفسه للإنكار وهمَّش نفسه وألقى بها إلى أدنى مراتب التقييم فقد أغرق نفسه في بحور الهوى وغياب الحقيقة ووضع نفسه في دوامات التيه العقلي والانحراف السلوكي وقاع السلم الأخلاقي وغيَّب القيّم المثلى وعلو الإنسانية وربط نفسه بِرَسَنْ البهيمية وألحق نفسه بنظريات التطور التي يعتنقها رواد الإلحاد، فالملحد يرى نفسه موجودٌ صدفة وذاهبٌ بلا قيمة كما وُجد وهذا من الدونية التي لازمتهم بخياراتهم التي بَنوا عليها أفكارهم وحقيقة وجودهم فَهُم دائرين تائهين بين الوجودية والعبثية والعدمية ليس لهم بناءٌ شامخ ولا أصلٌ ثابت عقلُهم جعلوهُ إلهًا ورغباتهم محركهم وسبب حياتهم واتخذوا نظريات التطور سيرة حياتهم ونشأَتهم التي لا يصح من تلك النظرية الداروينة شيء إلّا باعتقادي صدقهم في سلوكهم مع البهائم في إشباع الغرائز الحيوانية والسلوكيات البهيمية مع يقيني أيضاً أنَّ البهائم أرفعُ درجةً منهم فهي غير مُكلَّفَة ولا عاقلة.

بدايةً ما هو الإلحاد؟

إنَّ تحديد المعنى يُعطي جزءًا من الفِهم للمقصود الاعتناء به دراسةً ونظراً.

قال الأزهري: لَحَدَ أصلٌ يدل على ميل عن الاستقامة، يقال أَلحد الرجل أي مال عن طريق الحق والإيمان.

فالإلحاد إذاً هو العُدول عن الاستقامة والانحراف عنها، وقيلَ عن الإلحاد في كلام العرب هو العدول عن القصد والجور عنه والإعراض.

إذاً فالإلحاد هو وصف لأي موقف فكري أو عقدي لا يؤمن بوجود الإلهٰ.

فهؤلاء الملحدين يعتبرون الإيمان بالإلهٰ نوعٌ من الإيمان الشخصي القائم على أدلة غير عقلية تدعَمُه وبالتالي عندهم ما يُقدَّم بلا دليل يمكن رفضه بلا دليل.

الملاحدة يعتقدون أنَّ الإلهٰ ليس ضرورياً لإقامة نظام أخلاقي وإنَ البشر يمكنهم بناء معيارية أخلاقيه تقيم أساس العدالة والحقيقة والخير.

يُفهم مما أُختُصِر في تعريف الإلحاد أنَّهم جماعة آثروا الانفصال وترك الجادة والميل عن الحق واتخذوا لأنفسهم رُكناً معتماً قاتم الأفكار سفيه الآثار قَوامهُ الإنكار ورفضوا الإذعان للجبار واتخذوا عقلهم وهواهم إلهَهُم فَضَلوا وأَضلوا معهم من كان تائهاً جاحداً مثلهم وهم كغدةٍ سرطانية نسبت لنفسها الصحة وأعَلّوا من خالفهم بتفاهات الفلسفات البائدة والنظريات التالفة وهم ليسوا على شيء وليسوا بشيء.

الأخلاق هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وعلاقته بغيره.

الأخلاق في اللغة العربية الطبعُ والسجية واصطلاحا هي هيئةٌ راسخة في النفس يصدر عنها العديد من الأفعال بشكل سهل دون الحاجة للتروي.

الأخلاق عندنا كمسلمين تعتبر أساس بقاء الأمم وذهابها هو المؤشر على انهيار الأمّة فانهيار الأخلاق هو انهيارٌ لكيانها، ولينَظُر الناظر للغرب الآن وكيف أدى بهم الابتعاد عن صحيح الدين وأخذهِم بالإلحاد والعلمانية وكيفَ وصلت إليه أخلاقهم بأن رفعوا شعارات المثلية وأصبحت ذات حقوق ووجب تقنينها والدفاع عنها وهذا للعاقل الحكيم آذانٌ بانهيار تلك المدنية المزعومة التي بنيت على قاعدة اقتصادية وصناعية ومادية ولم يُؤسس لها صحيح قواعد القيَّم والأخلاق على الأصول الأصيلة والوحي الكريم.

الأخلاق منها ما هو جمال حسي ومنها المعنوي ومنها الفطري ومنها المُكتسب ويتم اكتساب الأخلاق بالالتزام وسلامة العقيدة ومحاسبة النفس عن الأفعال فالعلاقة طردية بين الإيمان والأخلاق.

أمّا عند الملحد فهو يقيم قواعده الأخلاقية على معيارية ذاتية نسبية ويفتقر بل ومعدوم المرجعية النهائية الثابتة المتصفة بالكمال للرجوع إليها في حال الاختلاف في وجهات النظر القيميَّة والأخلاقية، فالملحد متمسك بالمعيار الذاتي مُنكر لكل مما تعلق بالوحي وعنده المجتمعات تختلف قواعدها الأخلاقية باختلاف الثقافة والأيدلوجية والسياق التاريخي، ووجب التنويه هنا إلى مسألة يتعلقون بها ويبنون عليها جلّ أفكارهم وهي شبهة إيجاد الشر ولماذا يوجد أصلاً وهذا عندهم من القواعد التي يدللون بها على رفض الانقياد لإلٰه، ونقول لهم ويقول مَعَنا كل عاقل ملكَ من الحكمة والعقل والفطرة نصيباً إنَّ الشر ليس موجوداً بذاته بل هو وصفٌ لغياب الخير، بمعنى هو حُكم قيَّمي للمراد تقييمه وفقاً لميوله وتقدياته ومن ثم لا يصح اتخاذ الحُكم الظني مقياساً وحكماً

على المفهوم الحقيقي القائم على اليقين فالقاعدة تقول ما تَطرق إليه الاحتمال بَطُلَ به الاستدلال.

ولنأخذ بعض الأمثلة على أخلاق وقيّم وأفكار ما يتبناه بعض أكابر الملاحدة عندهم وهم من لَهم وزنٌ واعتبار ومرجعية لهذه الشرذمة التي مالت عن الحق واتبعت الإنكار وارتبطت بالدونية.

الملحد (بيتر سنيغر) يطرح سؤالاً في مقابلة جماعية إعلامية ويطرح فكرة ما هو المانع من إقامة العلاقة الجنسية بين الإنسان والحيوان طالما ليس هناك ضرر على أحدهم.

الباحث الأمريكي (اللاأدري ديفيد برلنسكي) يوضح مقولة دوستويفسكي (إذا كان الإلهٰ غير موجود فكل شيء مباح) ويقول شارحاً: فإذا لم تكن الواجبات الأخلاقية مأموره بإرادة الإلهٰ ولم تكن في الوقت ذاته مطلقة فإنَّما ينبغي أن يكون هو بساطه ما يُقَدِّرهُ الرجال والنساء لا يوجد مصدر آخر للحكم، بمعنى يقول هذا اللاشيء طالما أنَّ الإلهٰ غير موجود فكل شيء مباح.

تصريح (لورنس كراوس) بإيمانه بصحة زنا المحارم في مناظرته مع حمزة تزورتزس.

قول (ريتشارد دوكفيرني) في إحدى تغريداته على تويتر إنَّ الإجهاض فِعل أخلاقي ومشروع طالما ليس هناك ألم وبرر ذلك قائلاً: لأنَّ الجنين في بطن أُمه أقلُ إنسانية من أي خنزير بالغ.

الملحدين لا يوجد لهم معيار موضوعي للحكم على أي تصرف يراه من له فطرة أنَّه مخالف لكل قيمة ذات اعتبار وجب الرجوع إليها، ومن سَوءاتهم ما يراهُ عالم الحشرات راندي ثورهين فيقول عن الاغتصاب أنَّه ما هو إلّا ظاهرة تطورية طبيعية والتي هي نتاج الموروث البشري التطوري فهو مثل البقع على جلد الفهد ورقبة الزرافة الطويلة.

ويقول الفيلسوف (جيمس راتشلز) عن المعاقين ذهنياً: ستكون النتيجة الطبيعية وفقا للمذهب الذي نحن بصدده (الداروينية) إنَّ مكانتهم هي فقط مثل الحيوانات ويمكن استخدامهم كما تستخدم الحيوانات غير البشرية وربما كمواد المختبر أو كطعام.

هنا وبعد أن رأينا أقوال بعضهم وعَرَفنا واقعاً من مناظرةِ آخرين وما شاهدنا وشهد معنا غيرنا من سمومٍ يَنشرون وأفكار هدامة يزرعون وسوء أدب مع الأصول يتعاملون فكيف لنا أن نأخذ عن هؤلاء شيئاً، فهل يُنقى الثوب إلّا بماء طاهر وهل ينمّي العقل إلّا كل جميل هادف ومفيدٍ عارف وهل تصح العلاقات الاجتماعية والسلوكيات التعاملية إلّا إذا كانت على ميزان الوحي وعالي القيّم وكمال المنفعة ورقي الطرفين أخذاً ومناولة وهل الإنسان إلّا مخلوق مُكَرَّم ارتبطت كرامته وعلو مكانته بما وضع له من منهج وسلوك يسير عليه، فما هؤلاء الملحدين إلّا فقاعة هواء وزوبعة غبار ونبتةٌ ضارة هَلَكَت قبل أن تنمو في أرض غير أرضنا ومجتمعات غير مجتمعاتنا وإن تسرب منها شيء وتبناه بعض النفوس المريضة والعقول التائهة فليس هذا ما نحن عليه ولن نكون عليه، فنحن أُمِرنا بالإتباع والتسليم للوحي وما صدر عنه فارتقينا بسبب الإيجاد وحصَّلنا علو

الإنسانية وكمال البشرية ورقي السلوك، أمّا من ألحد فقد ألحقَ نفسه بالحيوانية أصلاً والبهيمية سلوكاً والضياع وجوداً، فالحذر ممن يزعم أن أصلهُ قرد وكل شيء عندهُ مباح وإن لَبِسَ ثوب المدنية وارتقى بالمادية وتجمَّلَ بجميل الظاهر.

***

انتشار السفور

إنَّ ظاهرة السفور هذه الأيام قد أخذت منحى الإسراف ولم تعد تتمثل في حالات فردية فمرحلة الفجور التي وصلت إليها تُنذِر بوقيعةٍ على المجتمع وعلى ذلك النسيج الاجتماعي المصون الذي أراد به الإسلام والدين والأخلاق الخيرَ والعفاف والمرتبةَ العالية في الارتقاء السلوكي والمظهر العام المحتشم، فالإسلام كما أنَّه دعا إلى الستر المعنوي دعا أيضاً وأوجب الستر المادي وجعل المرأة خصوصاً في هذه الناحية على رأس القائمة من الأهمية نظراً لحساسية الأمر لها وتداعيات عدم الالتزام بها على نفسها وعلى الأسرة وعلى المجتمع عامة.

إنَّ السفور وهو كشف ما أمر الله به أن يُستَر وإبداء ما وجب إخفائه لَتمادي على كل ما هو أصيل وكشف للعَور الأخلاقي والسلوكي ونقص الالتزام لفاعِله ولو تفكرنا من زاوية أخرى لرأينا أنَّ كُلَّ من دعا إلى الانحلال وعدم التدين من الغرب ومِمن أكنَّ العداء للإسلام ومِمن لبس ثوب الإسلام اسماً ولم يُطبقهُ فعلاً لعلمنا أنَّ المراد هنا هو الضرب في المجتمع الإسلامي وهدم كيانه ودفع أفراده إلى الانحلال وبالتالي يفقد ذلك أو تلكم المسلمة تلك الرابطة الإيمانية والالتزام السلوكي لِمراد الشرع والحفظ العام.

وكفى بنا مثالاً قول أحد رؤساء بريطانيا السابقين دليلاً على نواياهم الفعلية ومراداتهم العدائية وهو (جلادستون) بقوله: (لن تستطيع أوروبا الانتصار على الإسلام حتى تنزِع الحجاب عن وجه المرأة وتغطي به القرآن)، فنفهم أنَّ المراد الأكبر هو الإسلام بشخصية أفراده وكيانه ومظهره وظاهره وما الدعوة للسفور وكشف المرأة بداعي الحرية

الشخصية ألّا جِسرٌ كاذب وطريق خادع لتفكيك ذلك الترابط بين المرأة والدين وبين الأسرة والمجتمع فوقائع تلك الحالة وذلك السفور أشد ضرراً وأكثر جرماً مما قد يتعلق بفرد فالمتضرر فرد من أسرة من مجتمع وتلك الحلقات جميعها تتأثر وتنزلق في دوامةِ الانحلال وتغييب الوازع السلوكي والقيّمي في الحياة الاجتماعية بعكس المُراد الشرعي.

وبمثال بسيط ليُفهم المراد، فكيف نريد من إمرأة كشفت جسدها للجميع وناولت بضاعتها للمارة ينظرون إليها فكيف نريد منها أن تُنشِئ جيلاً حافظاً لأصوله مراعيا لآدابه وداعياً لأخلاقياته، فالسفور لا بُد أن يكون ملازماً لِما له بعدٌ عن الالتزام وقلةٌ في كساء الأخلاق وزاد التقوى ومن يَزعم أنَّ الإيمان في القلب وهذا الظاهر لا يعني الكثير فالحق أنَّ عقل من زَعمَ ذلك هو الذي ليس بكثير فلا يصلح البناء إلّا بأركان راسخة ومواد متناسقة ومقادير موضوعة وإنَّ الارتباط باللباس الشرعي لدينا كمسلمين هو شعار ووجوب وكذبَتْ وكَذبَ من قال هو حريةٌ شخصية إن أحببت أخذت بها وإن لم اقتنع بها تركتها فالقائل بهكذا شكل كمن هو قائلٌ الإيمان حرية إن اقتنعت بهِ آمنت، وهل يؤخذ من الدين الجوهر ويُترك الظاهر وهل يؤمِن القلب ويتعرى الجسد وتتكشف الرغبات.

ثم لننظر إلى دعاة الحرية بشكلها السافر في الغرب هل عَرّوا المرأة للحرية بزعمِهم أم اتخذوها سلعةً لترويج بضاعتهم وتنفيساً لسقيم رغباتهم والواقع عندهم يشهد بذلك وتناولهم للمرأة في شبابها لذلك واضح ثم ما يلبثوا أن يلقوها بعد أن كَبُرت سنها ويعرِضوا من هي أفتن وأفتى منها، أمّا نحن فالمرأة عندنا مكرمةً مصونة ومهما كان

عمرها فمحفوظة عندنا أشد الحفظ صغيرةً كانت أم كبيرة فشتان بين من أراد أن يكشف ومن أراد أن يستر، وما مَثَلُهُم إلّا كبهيمة الأنعام لم يُجعل لها سِترا فهم بذلك من أفعالهم ودعواهم يقتربون من البهيمية سلوكاً وغرائز، وإنّي لأَعجب ممن يترك خواصه برضاه يعرِضون أنفسهم على المارة يحدِّقون بهم ولم تتحرك لديهم نوازع الغيرة والحَميَّة الدينية والأخلاقية لكن يذهب العجب حينما نرى قِلة دينهم وهشاشة معتقداتهم واستخفافهم بأصولهم فنعلم أنَّ من خَفَّ تقدير الأصل عنده خفَّ كل شيء آخر وما تلك المنظومة الشرعية والمنهج الكامل إلّا دائرة مكتملة تُكَمِّل بعضها بعضاً ظاهراً وباطناً شكلاً وجوهراً سلوكاً ومعاملة وما هذا التكشف وهذا السفور إلّا ميوعةً في الإيمان وضعف في الشخصية الإسلامية لصاحبها.

ولو أبحرت في مجتمعات العالم لرأيت ما يقف الحائر مكانه من تمسكٍ للبعض وهو على أشد الضلال وانعدام الأخلاق من تمسكه ببعض الشكليات والظاهر العام الذي يراه ويدافع عنه دفاع المؤمن بقضيته فيرى الحرية تتوافق مع الكشف والعلاقات المفتوحة بلا قيد أو اعتبار ويُنشِئ لذلك قوانين وجمعيات ويقيم ندوات بدعوى الحرية والعلمانية والحداثة، فيا كل غيور نحن مسلمين لنا كياننا وشرفنا ومنهجنا المستقل استقلالاً يعطيه الكمال والجمال ولنا ظاهر وباطن نقيٌّ تقي يوافق صفاء الفطرة وكمال القيّم وعلو المنهج والواجبات فلا نقع في مستنقع أفكارهم ولا نقلد سفور حرياتهم فنحن نستر أجسادنا حفظاً وكرامة والتزام وهم يتكشفون دياثةً وإتباعاً للهوى ولشياطينهم بزعم الحرية فأيُّهما الأكمل والأجمل من اقترب من البهيمية والحيوانية أم من

ارتقى وحفظ نفسه وغيره واتبع ما أُملي عليه من دينه والتقوى، وكفى بحديث نبينا ﷺ دليلاً على ما قلنا وعاقبةً لمن عصا.

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال ((صِنْفَان مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ. لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْن رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا.)) . صحيح الجامع رقم ٣٧٩٩.

***

ثقافة الوجبات السريعة

مما حركَ قلمي ومشاعر الكتابة لهذا المقال هو ذلك الموقف الذي حصلَ معي في إحدى مواقع التواصل الاجتماعي، وقبل سرد الواقعة نلفت الانتباه إلى أنَّ الوجبات السريعة هنا ليست تلك الأصناف من الطعام التي يتناولها الفرد على الطرقات أو يأخذها معه مسرعاً وتكون غيرَ ذاتِ قيمةٍ غذائية عالية أو صحية بالشكل الأمثل لصحة الإنسان الجسدية فقصدنا هنا هي تلك الثقافة العابرة والكلمات الدسمة عاطفياً لكنها خالية من فوائد العلم وجميل الفِهم هي تلك الكلمات التي تدور حول قصص الخيال والروايات ومواقف الحب المزعوم والعلاقات الاجتماعية التي ترسمها ملامح التشعب وتوالي الأحداث العاطفية التي تشد انتباه القارئ ليدخل في حلقات التأثر بالاقتراب والابتعاد عن الحبكة والشعور بها، وأضيف إليها مع ما سبق ما يتعلق بتلك الكتب التي تتناول تنمية الذات بطريقه أشبه ما تكون برسم صورة ذهنية للتغلب على الواقع والدخول في شخصية مثالية مزعومة فهنا هي أشبه ما تكون الحالة بتناول المسكنات لتفادي التأثر بالمحيط المعقد والشائك بدلاً من العلاج وبناء الأرضية الثقافية والمعرفية وتنمية السلوك الفعال لتحصيل المناعة وتقوية الذات وفق قواعد قيميَّة ودينية حقيقية فيلجأ القارئ لهذه الكتب التجارية المأخوذة عن خارج التأصيل الثقافي لمجتمعاتنا لِدخول فقاعة الأمان بإيجاد تلك الصورة المثالية المُختَلَقة.

أمّا قصتنا وسبب تحفيزنا لكتابة هذا المقال فهي إنَّ إِحدى دور النشر قامت بإنزال منشور صاحَبَهُ بعض الدعاية والإعلان عن رغبة دار النشر بتبني بضع عشرات

من الكتب تناهز الثلاثين تقوم دار النشر بطباعتها وعمل الدعاية اللازمة لها مع عرضها في المعارض المختصة بِنشرِ الكُتب، فقمت بالمشاركة في هذه المسابقة بأحد الكتب الدينية النافعة وانتظرت لحين موعد إعلان العناوين التي تم الموافقة عليها فقامت دار النشر بإنزال أسماء ما تم الموافقة عليه من أصل ما تم تقديمه والذي اقترب من الستمائة عنوان وتم ترشيح قرابة الثلاثين عمل أدبي وثقافي وحين النظر للمواضيع الفائزة والتي تم ترشيحها من دار النَشر فوجئت بأن جلَّها بما يقارب الخمسة وعشرين موضوعاً هي رواية أدبية والباقي تقريباً خمسة كتب هي عبارة عن كتب تنمية بشرية وقصص قصيرة فأصابتني الدهشة والاستغراب وكيف أنَّ مئات الكتب العلمية والأدبية العالية المستوى حسب ما وضَّحوا في نشرات سابقة من قِبَلِهِم وحسب عناوينها تتضمن كتب دينية وعلمية وثقافية مع طبعاً الروايات والقصص القصيرة ، فكانت النتيجة أشبه بإحباطٍ بالنسبة إليّ وذلك ليس لعدم ترشُح كتابي لديهم لكن لعدم ترشيح أي كتاب ديني أو كتب ذات طابع ثقافي وعلمي مفيد فكان الفوز للروايات على حساب العلوم النافعة والثقافة الماتعة فأرسلت لهم تعليقاً على مدونتهم قلت فيه: أرى أنَّ الثقافة الغالبة للفِكر عندكم هي الروايات والقصة القصيرة وذكرت فيه استيائي لما حصل من التركيز على هكذا ثقافة عابرة وأظن أنَّ ما وقع بنتائجه قد أثر على كل راغب في نشر الوعي والفائدة العلمية وتنميه الفكر العربي الأصيل .

الخلاصة: أرى من الضعف الثقافي السائد الآن اللجوء إلى الوجبات الثقافية السريعة التي لا تُسمن ولا تغني من جوع فالثقافة الحقيقية هي عنوان المجتمع وصورة

الكمال الفكرية للأفراد والتركيز على هكذا ثقافة سطحية هي إهمال في تقديم العلوم العامة وإضعاف للشخصية الثقافية والفكرية العربية، فالارتقاء بالمجتمع يكون بالتركيز على المعارف والعلوم الأصيلة والعلمية الرائدة والنافعة فكتب الروايات والقصص لا بأس بها إن كانت في إطار الجمال القيَّمي وضوابط الأخلاق لكن هذه تعتبر تحلية بعد الأخذ والاغتراف من العلوم النافعة والراقية والتأصيلية التي تُنمي تلك الشخصيات العلمية والفكرية وتصقلها وتضعها في إطار الإبداع والتقدمية في كل مجال والتي بدورها ترفع شأن صاحبها وترفع معه الناحية العلمية والعملية للتقدم المجتمعي، ونضيف أمراً وهو خطورة بعض دور النشر التي أصبحت بدورها كمطاعم تقدم الوجبات السريعة وتهتم بأمر الترويج والبيع للكتب التي تُصدِّرها طالما كانت نسبة المبيعات عالية ولا تهتم بالمحتوى ورفع القدرة الفكرية والثقافية للأفراد فهي هنا استثمارٌ مادي هدفه الكسب السريع وليس هماً أصيلا وأساسا لدعم أصحاب الإبداعات والمشاريع العلمية ونشر الوعي الفكري والثقافي.

***

هل الكتاب الورقي يحتضر

بدايةً كلنا نعرف أنَّ الاحتضار يخص الكائن الحي فلماذا أُلحق بالكتاب هنا؟ هذا نجد فِهم إجابته في هذا المقال ونزوحنا لهذه الزاوية الفكرية حول الكتاب لها حقيقة ودواعي داخلية وارتباطات خاصة لكل محب للكتاب الورقي يفهمها عند ملامسته لأوراق كتبِه وأثناء مجالسته لمكتبته.

في هذا الزَخم الثقافي والتسارع المعلوماتي على وجه البسيطة وحدوث التغيرات المناخية الثقافية في العالم وطرق الحصول عليها تطورت العديد من الوسائل والطرق للحصول على المعلومات والكتب، فبعد أن كان الكتاب الورقي يتربع على عرش المعرفة وهو رمزها ومرجِعها الذي لا يُختلف عليه بدءًا من بداية الكتابة وحتى وقت قريب ثم ظهر منافس غير ملموس تجده في وسائل التواصل والأجهزة الرقمية والالكترونية وهو ما يُسمى بالكتاب الرقمي، وليس مقالنا هنا للمقارنة بين الكتاب الورقي والرقمي فهذا أمرٌ آخر وبحث مستقل وإنَّنا كمحبين للكتابة الورقية وعاشقين للأحبار ورائحة الأوراق نقف معه بِغَضِّ النظر عن التفاضل أو تعدد الآراء والدعاوي الجديدة لنصرة الرقمي.

المهم: الكتاب الورقي امتداد للشخصية وتعبير للعلاقة بين القارئ والمعلومة وهو خير جليس وأحبُّ أنيس، هو المربي الفاضل والصديق الذي لا يتركك، هو معلمك وأحياناً هو ذكرياتك وحياتك بتجاربها التي سكبتها بحبر الأيام على الأوراق، هو خلاصة الفهم ومفيد العلم هو الحبيب الأول للقارئ الذي لا يغار منه أحد ولا

يحسدك عليه أحد، لا أعلم لوددت أن أكتب غزلاً في الكتاب لفرط محبتي له مثلما فعل من أسرف في تعبير الهيام لمحبوبته وشوقه لها، فالكتاب ليس أوراقاً جامدة بل هو تلخيص ينتقل من جيلٍ إلى جيل ومن عقلٍ إلى عقل وحكمةٌ وجمال يتذوقها القارئ حين يصغي بعقله وقلبه لما بين السطور .

الخلاصة: اختلاف الشخصية ومقوماتها وتنوع التعامل مع التكنولوجيا الحديثة والحاجة إليها أوجدَ ارتباطاً و ميلاً للكتب الرقمية وأوجَد رغبة بالحصول السريع على المعلومات مثلما يود أحدنا الحصول على وجبة سريعة لكن يبقى الكتاب الورقي هو الأصل ويبقى الارتباط معه ارتباطا أعلى من كونه أوراقاً جامدة أو حروفا ساكنة بل هو امتداد للشخصية وعقل وحكمة وتجربة بين دفتين ومهما علا شأن الرقمي والتقدم في الحصول على المعلومة إلّا أنَّ الكتاب الورقي سيبقى له مكان حي في كل عقل حي ولا ننسى تلك العلاقة معه التي بدأت منذ ولادة أول كتاب حتى وقتنا هذا وستبقى ما بقي العلم وأهله.

***

هجرة الكفاءات ونظرية الحمار

بدايةً لا بُد أن نوضح المقصود بنظرية الحمار ليذهَبَ الالتباس ويُفهم المقصود مع التنويه على أنَّ الربط بين النظرية وتحفيز الهجرة عندنا لا يرتبط بالعمالة وخدمة العدو كما هو في قصة النظرية، والقصة باختصار بمفهوم المعنى وليس بتحديد الأعلام والشخوص أنَّه ورد فيما كان إبان الحرب الباردة من قصص انتشرت وتعرَّف عليها من يبحث في قراءات الواقع وتجارب الصراع وحروب المعلومات أنَّ الاتحاد السوفيتي سابقاً تم التأكد لأجهزته االمخابراتية بوجود جاسوس أمريكي بين صفوفه تمت زراعته ويؤدي عمله المنوط به دون اكتشافه وبعد عمليات التنقيب والتحري الشديد تم إلقاء القبض على مسؤول كبير في الدولة عن طريق بعض الخيوط المرتبطة به تتعامل مع الطرف الأمريكي وحين التحقيق معه وماهية دوره لم ترَ تلك الأجهزة على مدار السنوات الطويلة لِعمله أَنَّه قامَ بإيصال أي معلومات هامة أو تجنيد آخرين أو المشاركة بتقويض القوى العسكرية لكن اكتشفت بعد اعترافه على لسانه بأَنَّهُ صاحب نظرية الحمار وهذه النظرية التي هو متورط بتنفيذها تقوم باستغلال منصبهِ الوظيفي العالي والحساس في الدولة بتوزيع الأدوار الوظيفية على المتقدمين لها فما كان من هذا العميل إلّا أنَّه يقوم بتعيين ووضع الشخص غير المناسب في المكان اللامُناسب وعلى مدار السنوات التي شَغَل فيها منصبه قام بتعيين آلاف الأشخاص من ذوي الشهادات العلمية في مواقع غير تخصُصِهم وبعيداً عما يحفز ذوي الكفاءات من تقديم الأفضل والارتقاء بما يرفع من مستوى الخدمة المُقدَمة للبلد ويعمل على الاستفادة العامة، وقام أيضاً بوضع عديمي

الكفاءات وقليلي العلم والدراية في أماكن حساسة فكان هذا الدور الذي قام به هو بمثابة الهدم للكفاءات والعقول والتعطيل للمشاريع التنموية وإيجاد حالة من العجز الدائم في التوجيه الصحيح بدلاً من استغلالها وتنميتها، وهكذا انتشرت هذه القصة وعُرفت بنظرية الحمار.

ونعود لموضوعنا الأساس وهو هجره الكفاءات في الدول العربية – التي أُطلق عليها دول العالم الثالث أو الدول النامية– فاشتراك نظرية الحمار جزئياً مع أسباب هجرة الكفاءات هو من عوامل الخسارة الكبيرة التي أصيبت بها دولنا العربية فتقديم المصلحة الشخصية أو العلاقات المصلحية هي امتداد لنظرية الحمار بدون خدمة للعدو الخارجي مباشرة بل هي خدمة للعدو الداخلي الذي يُؤثِر نفسه على مصلحة بلده وجيبه على تقدُّميّة بلده، فالمهاجر من أصحاب العقول أو الكفاءات يترك موطنه بحثا عن لقمة عيش أو فرصةِ عمل حقيقية لم يجدها في بلده وبين أحضان محبيه أو يبحث عن كرامة مفقودة أحياناً حينما يجد نفسه عاملاً بسيطاً يحمل شهادات جامعية عالية ويرى أقرانه ممن كانوا قليلي الجهد العلمي في مناصب متقدمة ووظائف راقية لكون فلان قريب لفلان أو فلان يملك ما يجعله متنفذاً في اختيار الوظيفة التي تناسبه ويكأنَّنا نرى في السيرة الذاتية للبعض هذه المتطلبات الحقيقية لذوي المصالح ولكنها على شكل حبر سري تقرأه المصالح والعلاقات بين المتنفذين وأمّا السيرة الذاتية لمن بلغ الوِسع في الطلب والدراسة ما هي إلّا شهادات وكفاءات علمية ودورات قد يكون قد باع النفيس هو ومحبيه للحصول عليها لرفع كفاءته العلمية، ومما يحزن القلب حجم الخسارة الفعلية التي

تصيب بلادنا جراء هجرة تلك العقول والكفاءات وإبطاء حركه التنمية والنشاط العلمي والحركة البحثية والثقافية جراء تلك النزعة للهجرة المصحوبة بنوع من التظلم والقهر وتزعزع الثقة بالمحيط ونرى تجارب ذلك كثيراً في أروقة المعاملات ومحاولة الحصول على الأحقية في كل مجال تقريباً فالمخترع يجد صعوبة في إثبات مُلكيته وتنفيذ مشاريعه والمبدع يجد تيارات عكسية أوجدتها البيروقراطية والمصالح المضادة، وحتى العقول النيِّرة الأكاديمية تراها في وظائف لا تليق بها من ناحية المردود المادي الذي يضمن حياةً كريمة أو وجود مساندة فعلية لتأدية الدور التعليمي ورفع المستوى العام، وأقولها بصراحة إنَّ ما أثار حفيظتي لكتابة هذا المقال ما حصل لي في بداية دراستي الجامعية وكيفَ لم أُعطَ حقي في المنحة وتجدد تلك التجربة المؤلمة بعد ثلاثين عاماً تقريبا عندما شُطب اسم قريب لي من سجل المشاركين في بطولة رياضية كان شرط الدخول إليها الحصول على أوائل الدرجات في سلم المنافسة فحصل على الذهبية وكان الأول لكن بعد شهور وبِدأ الفرز للبطولات المحلية والدولية وجدنا أنَّه أزيحَ من القائمة بحجج لا ترقى إلى الإقناع فأحسست بتلك الكسرة والألم على وجه هذا الشاب عندما لم يجد اسمه في صفوف المنافسة القادمة فاشتعلت ذكريات طالما حاولت إخمادها وكم من شاب وكفاءة وعقل عاين تلك الحالة وبقي حبيس نفسه وآثر الواقع غير المتكافئ بعدما فقد ثقته بالمحيط، ومن هنا أوجهُ نفسي وكل نفسٍ فيها خير أن لا نكون مروجين لنظرية الحمار وأن لا نؤثر أنفسنا على أبناء وطننا ومصلحتنا على بلدنا فالخير يَعُم والأجيال القادمة وجب لها الحق والكرامة والمساواة قبل أن تأتيَ.

وظيفة الشباب العربي بين الطموح وصدمة الواقع

إنَّ القارئ للمجتمعات العربية والغربية والمُطَّلِع على إحصائيات معدل الأعمار فيها يَرى بعين الأرقام والإحصائيات أنَّ المجتمعات الأوروبية أصبحت كبيرة السن وتقترب من الشيخوخة في كثير دول وهذا عندهم جعلهم يدقون ناقوس الخطر فمعدل الإنجاب وتكوين الأسر أصبح يأخذ منحنى تنازلي وتِعداد كبار السن بالنسبة للشباب في تباين ملحوظ وهذا له أسبابه وعلاجاته وليس هذا مرادنا في مقالنا فمرادنا هي مجتمعاتنا العربية تلك المجتمعات الفتية التي يُشكل فيها عنصر الشباب وصغار السن النسبة الأكبر والأعلى في المجتمع وارتفاع معدل الولادة في كثير مناطق مع قلة المردود المادي ومعدل الدخل مقارنةً بغيرها من المجتمعات الغربية.

المهم: هذا التعداد لعنصر الشباب صاحبهُ للأسف تلك الحالة من الإحباط حين الاصطدام بأرض الواقع والبحث عن عمل ومحاولة تجسيد الطموح بالنسبة للشاب العربي نعم فالشباب العربي ينتظر بفارغ الصبر الانتهاء من مراحل الدراسة والدخول إن استطاع للدراسة الجامعية ليكمل بناء بيت الأحلام وتحقيق تلك الصورة الجميلة التي رسمها لمستقبله وما أبحرت به أفكاره على مركب الطموح والشوق لكنه ما إن يبلغ من العمر فترة المسؤولية وبناء الشخصية العملية والبحث عن الاستقرار الوظيفي والأسري يجد أَمامه معوقات وصعوبات تُوقِعه في الإحباط والتصادم الداخلي بين الصورة المستقبلية والاستقرار النفسي العملي وبين الصورة الحقيقية والواقع العملي، فتلك الشهادة التي أنفق من حياته وحياة والديه ورافقتها صعوبات في توفير المتطلبات المادية

للحصول عليها أصبحت عند الكثير ورقةً لا أكثر وجهد عقلي ونظري شَكَلَ مخزونا علمياً غير مُفَعَّل فهذا الشاب صاحب الشهادة حينما يبدأ مسيرة البحث عن وظيفة مناسبة يجد أمامه طابوراً من المتقدمين الراغبين مثله للحصول على فرصة مناسبة ويجد عند كل طلب توظيف لعدد محدود قد لا يتعدى أصابع اليد يجد المئات وربما أكثر يتقدمون في محاولة للحصول على تلك الفرصة وتزداد وتيرة الحالة حينما يجد بين المتقدمين من له بضع سنوات على مثل حالته التي بدأ فيها البحث الآن فيقع هنا في تلك الدوامة من الحيرة والإحباط وتجول أفكاره بين ضياع الأحلام وبين فَهم الواقع وبين بيته الذي يريد تأسيسه وتكوين تلك الأسرة التي يريد إنشائها وبين متطلبات ذلك والتي تَقرر من الواقع صعوبة تكوينها في هذه الظروف.

إنَّ تلك الصورة والأحلام الجميلة ربما تتحول لكابوس لعدم تحقيقها، والحقيقة أنَّ أسباب ذلك كثيرة والتجاوزات لها دور في إيجاد تلك الحالة من الإحباط للشباب لأنَّ مجتمعاتنا العربية والسياسات التنموية والتعليمية والاقتصادية أضعف من أن تلبي وتوازن وتوجد تلك الحالة من التوافق بين معدلات النمو الاقتصادي وأعداد المقبلين على العمل وحملة الشهادات والقادرين على العطاء.

نحن حقيقةً لا تنقصنا الكفاءات العامة بل نعاني من شح الإدارة الفعالة والكفاءات القيادية ونعاني أيضاً من المحسوبية والتبعية وضعف الاستقلالية في استغلال الموارد وتنميتها ناهيك عن حالة الاختناق من دور البيروقراطية في تجميد النشاط العام،

وهنا يحق لنا سؤال، لماذا تلك المجتمعات العجوز تستقطب شبابنا وكفاءاتنا وتحاول إنعاش مجتمعاتها على حسابنا ونحن نحاول وأدَ شبابنا ومفكرينا؟

ولماذا تحولت كثير من أحلام شبابنا من طموح في بلادنا إلى فكرة وحلم السفر والهجرة إلى الخارج؟

قد ناهزت عمر الخمسين وأرى زهوراً قد كبرت وشباباً من عمر الزواج قد اقتربت وأرى معهم تلك الحالة من الحزن والإحباط فأشاركهم شعورهم وأَفهم أمانيهم كيف لا وأنا قد شعرت بما شعَروا، ووعيت سابقاً ما به وقعوا، وأتألم حينما أرى ذلك الواقع لمجتمعاتنا لا يزال على نفس الحال كأنَّه مقيَّد وأسير لسياسة الغير وللتبعية وإملاءات بعض ذوي القرار العالمي من أمثال البنك الدولي ومن على شاكلته من أصحاب المصالح السياسية وكيف أنَّ تلك الطاقة الفعالة وهي عصب وقوة المجتمع أصبحت خاملة ورضيت بأي شيء لتكمل مسيرتها العادية وَوَضعت الطموح والأحلام على رف الانتظار مع تلك الشهادات التي حصلوا عليها.

واختم مقالي بسؤال عقلي قد نرى في إجابته جزءًا من الإجابة العامة وهو من المستفيد من الإبقاء والبقاء في هذه الحالة من الضعف العام وعدم استغلال الموارد البشرية والمادية الأولية والتي نحن نعتبر الأغنى فيها؟

***

هل اقتربت معركة حطين الثانية

نرجع في الزمان قروناً ونحط رحالنا في القرن الثاني عشر الميلادي حيث وقعت معركة حطين تلك المعركة التي تعتبر رمزاً لانتصارات المسلمين وعلامة بارزة على تلك العدائية القديمة المتجددة من الصليبيين قديماً والغرب حديثاً على الإسلام والمسلمين، وقعت معركة حطين الخالدة عام ١١٨٧م بين المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي وبين الصليبيين المُجَمَّعين من كآفة أوروبا بقيادة ملوكها مادياً وباباواتها معنوياً وتوجيهاً في منطقه بين الناصرة وطبريا شمال فلسطين حيث هُزِمَ فيها جموع الصليبيين هزيمةً ساحقة وتم استرداد بيت المقدس.

بعد هذه المعركة الفاصلة آنذاك بعد احتلال لها دام قرابة تسعين عاماً قام فيها علوج الصليبيين في بدايتها بالقضاء وقتل كل من كان في بيت المقدس تقريباً حتى أنَّ مؤرخيهم ذكروا متفاخرين أن حوافر الخيول غاصت في دماء المسلمين في بيت المقدس وأزِقتها ويُمجِّدون ذلك راجعين لمقولة كُبرائِهم الذين أعموا أمرهم وضلوا سعيهم معهم وعَلَّموهم أن اقتلوا الصابئين المهرطقين وإنَّها إرادة الرب وانَّ المسلمين هم الصابئة وواجب القضاء عليهم فنكَّلوا بالمسلمين العُزَّل والحجاج المسالمين فأبادوا العباد وعاثوا في البلاد الفساد فقام صلاح الدين -وهو رمز من رموز الشجاعة وقادة الإسلام عندنا ورمز للحقد على أسلافِنا عندهم- قام قبل تلك المعركة الكريمة على مدار سنواتٍ طويلة بلم شمل الدول الإسلامية وتقليص الخلافات والتخلص من الدولة الفاطمية الشيعية والكثير ممن كانت مصلحته وتولي المنصب والبقاء على الحُكم عنده أهم من أيٍّ

شيء آخر حتى ولو تحالف مع الشيطان قبل الصليبيين في مقابل ذلك، فقام صلاح الدين بتوحيد البلاد الإسلامية من العراق شرقاً إلى ليبيا غرباً ومن اليمن جنوباً إلى الحجاز شمالاً وأزاح الخلافات وَوَحَدَ الكلمة وجمَّع الأُمّة ثم توجه لمواجهة الصليبيين المواجهة الكبرى فانتصر بفضل من لا يصح الجهاد إلّا لإعلاء كلمته جلَّ في عليائه وتقدست أسمائه، وعادت الكرامة مع بيت المقدس سامقة للمسلمين وَرُفِعَ شأن السُنَّة وارتقى الحق منزلته التي لا تنزِل وكانت تلك المعركة صورة جلية نستبين منها ونتعلم التاريخ ونُعِدُّ للمستقبل كيف أنَّ التفرقة بين البلاد الإسلامية وتقديم المصلحة لبعض الأفراد على الوحدة والمنفعة الكلية هي الثُلمة التي يلجأ إليها أعدائنا بأشكالهم ومعتقداتهم المختلفة على مدار التاريخ الإسلامي العام لاختراق سورنا واحتلال أرضنا والتحكم بمقدراتنا.

وما أشبه اليوم بالبارحة فها هُم الغرب قبل قرن من الزمان تقريباً اقتحموا بلادنا واجتمعوا لأنفسهم ليفرقونا فقسمونا بسايكس بيكو وبوعد بلفور وعندما أعطوا قلب الوطن العربي ليهود ليظل الكيان خنجراً مسموماً في جسد الأمة، وعند الغرب وإن اختلفت عندهم المسميات لا يزالوا يعتقدوا في وجدانهم وتاريخهم أنَّهم أحفاد الصليبيين وأنَّ المعارك القديمة لم تنتهِ بعد ونرى صحة ذلك عندما ندرس التاريخ الحديث وعند النظر لاحتفالاتهم في بعض مناسباتهم حول الأندلس مثلاً كيف يفعلون ولننظر لمقولات بعض رؤسائهم وكيف نطق بها أحدَهُم علانيةً واضحة أنَّها امتداد للحملات السابقة نكون على يقين، فإنّنا عندما تفرقنا ذهب مجدنا وعِزّنا وتحكم بنا شرذمة غربية لا

يحسنون الطهارة وقسمونا ليسهُلَ التحكم بنا وألحقونا بالتبعية لهم ومستهلكين لمنتجاتهم.

وما رأينا في الأيام الأخيرة من دناءة بعض المتطرفين منهم بقيامهِ بحرق نسخ من القرآن الكريم وبعض الجرائم بحق المسلمين كالاعتداء على مساجد المسلمين في أوروبا دليلٌ وشاهد على حِقد دفين وصلةٌ لا ينكرونها بماضيهم وأسلافهم الصليبيين دوناً عن تلك الحروب التي ذهب ضحيتها ملايين المسلمين لإشباع نزعاتهم التخريبية واحتلالهم لموارد ومقومات بلادنا العربية والإسلامية.

نرجع ونقول ما أشبه اليوم بالبارحة فقديماً قام أرناط بذبح الحجاج وتدنيس الشعائر الإسلامية وحاولوا بحملة بحرية الذهاب للمدينة المنورة ومكة المكرمة لهدم أعظم ما للمسلمين لكن منعَهُم الله سبحانه بجنود مصر وقُضي عليهم بتوجيه من صلاح الدين وذلك قبل حطين، واليوم نرى احتلالاً وتبعيةً مقيتة وكلمةً ضعيفة للمسلمين فأين صلاح الدين الجديد وأين أحفاد حطين فما لنا غير أن نتحد وتجتمع كلمتنا ليبرز لنا أحفاد قادة حطين واليرموك ومؤتة ونيقوبولس والقادسية ونهاوند وعين جالوت ولا رايةً لنا إلّا بالدين وهو الحق المبين ووحدة المسلمين الذي يحاربوننا عليه ويحاولون هدمه لألا نعود كما كنا، ولكن وعد الله حق والنصر والعزة للمسلمين وسيعلم الذين ظلموا إيَّ منقلب ينقلبون.

***

طوفان الأقصى

قرأنا صغاراً قصة أُكلتُ يوم أُكلَ الثور الأبيض وهنا نحن عندما كبرنا رأينا بواقعنا قصة وحقيقة أُكلت يوم أُكلت فلسطين، قبل أيام قامت المقاومة الفلسطينية في غزة وهي صاحبة الأرض والحق بهجوم عجزت عنه عقول المحللين العسكريين عن احتواءه وكيف أنَّ عدداً محدوداً ممن لا يملكون إلّا بواكير القوة ضربت بيد من قوة وبرائع التنظيم جيشاً من أقوى الجيوش وكيف أحدثوا فيه هذا الاختراق الأمني والعسكري وقاموا بِأسر هذا العدد الكبير وأخذِهم من داخل الأراضي المحتلة.

فوقف الجميع مذهولين من الجانب المعتدي -وهم اليهود- وتاهوا في ارتباك لم يتوقعوه وأصابهم الخوف والتفَرُّق في محيط غزة وكيف اخترقت المقاومة ما تحت أيديهم ومعسكراتهم عن طريق البر والبحر والجو حتى ظن البعض منهم أنَّ جيشاً من خارج هذا الكوكب هجم عليهم فكيف يجرأ أحدهم الدخول لغاية عشرة أو عشرين كيلو متر ويصلوا للملاجئ ويحملوا الأسرى معهم كأنَّهم يُحَمِّلون الشياة من مرعاها إلى مكان آخر.

وكيف سقط هذا العدد الكبير بين قتيل وجريح وأين المنظومة الأمنية وأين أجهزة المخابرات والاستخبارات العسكرية ونحن نسأل أين هو صاحب نظرية الكذب الجيش الذي لا يقهر، المهم دكت المقاومة عدوها وعدو العرب والمسلمين درساً لن ينساه حتى يغادر عالمنا بوعد الله سبحانه وقد مُنِيَ بهزيمة لم ينلها في معاركهِ مع جيوش نظامية وكانت بسواعد مجاهدين رفعوا راية المجد وراية الدين وصنعوا من العصا بندقية ومن

الحجر صاروخاً وحملوا معهم أكفانهم دفاعاً عن كرامة العرب والمسلمين ومقصدهم تحرير فلسطين من المغتصبين ودفاعاً عن الدين والمسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين، وبعد هذا النصر الذي سطرته الوقائع ورآه الجميع أخذت يهود تضرب شعبنا الأعزل في غزة وأحكمت عليهم كل شيء وأَكبت عليهم نار هزيمتها وجرحها الذي لن يندمل وتمر الأيام ويزداد ذلك الجبروت الظالم والاعتداء الغاشم على شعب أعزل وأطفال ونساء ليس لهم ذنب إلّا أنَّهم من فلسطين وأمهاتهم هنَّ من أنجبن المجاهدين ونقول لكم الله يا أهل غزة فأنتم أهل العِزة وإنَّكم إن كنتم تألمون فإنَّهم يألمون لكنكم ترجون من الله ما لا يرجون ودعائنا لكم ودمائنا معكم وقلوبنا تبكي الدم لعجزنا عن نُصرتكم لكنكم أنتم الأَعَز ولكم الغلبة وقد اصطفى الله منكم الشهداء فعلوتم وصبرتم وقد أرجعتم لنا العزة والكرامة بعد أن كدنا ننسى طعمها وكسرتم شوكة يهود وشعاراتهم الأمنية وقدراتهم العسكرية وبيَّنتم أنَّ سلاح الإيمان أقوى مما بين أيديهم، وموعدنا وموعدكم إن شاء الله فلسطين المحررة والجنة وسيولي المعتدي ولكم الغلبة بإذن الله، ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون.

٢٠٢٣/١٠/١٥

***

دروس من طوفان الأقصى

* أُكلنا يومَ أُكلت فلسطين.
* صاحبُ الحق لا بُد أن يرجِعَ لهُ ما سُلب منه.
* تكشفت أحوال العالم وسَقَطت الأقنعة عن الكثير.
* إذا حدثوك في الغرب عن حقوق الإنسان وزعمهم بذلك فتذكر غزة.
* الحرب على غزة شارك فيها العالم بصمته أو بدعمه للكيان المحتل.
* العلاقة بين الدول قائمة على المصالح وليس للإنسانية أو الوازع الديني دور كبير فيها.
* الجندي والمقاوم الفلسطيني على ضعف إمكانياته هَزَم المدجج بالسلاح وهذا يعلمك معنى أن تكون صاحب عقيدة وإرادة حق ورفضك للذل.
* يولد في غزة أطفال تيتموا ولم يروا والديهم وسيحملون هَمَّ قضيتهم.
* لا يوجد مكان له حصانة دولية أو إنسانية في غزة فلم يَسلَم مشفى أو دار عبادة أو مدرسة أو مدني من الاعتداء الغاشم، فالكيان كائن يخلو من أيِّ إنسانية أو قيَّم أو مبدأ أخلاقي.
* التفرقة في الدول العربية وضعفها جعل بعضها أشبه ما يكون بالمتفرج.
* هناك صهاينة عرب ظهروا بوضوح على الساحة التفاعلية والإعلامية.
* دلائل الإستخراب والتبعية واضحة البيان في التفاعل العربي.
* الكيان هش وأكذوبة الجيش الذي لا يقهر بانت حقيقتها .

* ميزان القوة هو المعمول به في العالم .
* سياسة التحكم بالعوز والمقدرات ألجمت الأفواه والكثير عن التكلم.
* الحروب الصليبية لم تنتهِ بعد ولكن تغيرت أشكالها.
* ظهور كذب الإعلام العالمي وانحيازه للصورة الإسرائيلية مع انكشاف الأدوات والأبواق المستأجرة في عالمنا العربي.
* غزة علمتنا معنى العزة والشجاعة والصبر والشهادة.
* لم تُهزم ولن تهزم غزة.

***

في غزة يولد الأطفال شهداء

بدمع العين بدلاً من الحبر أكتبُ هذا المقال ولو كان الدمع مِداداً يصلح لفعلت ذلك وليست تلك الدموع مني وحدي فما أنا إلّا واحد من ملايين ممن يشاهدون ما يحصل لأهلنا في غزة وكيف وصل الخذلان العالمي والعربي إلى مستوى إن دل فيدل على تلك التبعية العربية والتآمر الغربي فلو كان هذا المُصاب في دولة أوروبية لانقلب حال العالم ولفُرِضَت القيود والعقوبات ولتحرك الناتو ولتكَلم صنم الأمم المتحدة ومحكمة اللاعدل الدولية لكن المصاب على المسلمين وعلى الموحدين فلذلك لا تجد لهم معيناً إلّا بارئهم سبحانه وكفى بربنا حسيبا.

في غزة الآن أصبح الحصار الصهيوأمريكي والتقاعس والخذلان العربي لا يطاق لا يحتمله الكبير قبل الصغير أصبح الأب إن لم يكن شهيداً أو مصاباً يموت قهراً حينما يرى أولاده يتضورون جوعاً أمامه أو مصابين وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا، في غزة الآن يولد الأطفال شهداء نعم شهداء فهم يموتون بعد الولادة فوراً أو بأيام ليس لمرض أو إصابة بل لنقص المناعة وسوء التغذية الشديد للأم والطفل بعد الولادة، تبا لهكذا مجتمع دولي يحفظ حقوق الحيوانات ولا يأبه لحياة البشر وتباً لهكذا أنظمة باعت نفسها لتبقى بظنها خالدة على عروشها الزائلة، في غزة الآن أصاب الناس مجاعة حتى أكلوا العلف وأوراق الشجر ثم لم يبقَ ما يؤكل؛ فكيف بمساعدات لا تكفي لبضع آلاف أن تكفي شعباً يزيد على المليونين من الأحرار .

لا تحدثوني فلن اصدق أحداً بعد اليوم ولو أَغلظَ في القَسَم أنَّ هذا العالم حر وأن الإنسانية عنده لها مكان فهذه نظريات لا تُطبق علينا كمسلمين من طرفِهم.

عندما أَنظر إلى منهجنا كمسلمين وفي قوانينه الشرعية وسماته الخُلقية وما يدعو إليه أَعلم وأزداد يقيناً أنَّه هو الحق وما سِواه باطل لا يصح فالإسلام لا يعامل الأسرى ولا يرضى هكذا تصرفات أن تصير مع أعدائه فكيف بأهله وأبنائه فسبحان الله قد زاد فهمي تعمقاً مع بقاء الإيمان والرضا حكمةَ الله في خلق الجنة والنار، ولكل نبإٍ مستقر وسوف يعلمون .

زيادة من حروف الدمع

عندما قرأنا قول سيدنا عمر رضي الله عنه بأنَّ لو دابة في الأرض تعثرت فسأُسأَل عنها لِمَ لمْ تسوِ لها الطريق يا عمر، فأقول ويقول غيري ما جاع طفل في غزة أو كبير أو صغير إلّا وسيُسأل حكام هذا الزمان لِمَ لمْ تطعموا الجائع والمسكين ولم تنصروا المسلمين.

***

هل يموت الإنسان جوعاً

سمعت عندما كنت صغيراً وكبيراً من أفواهِ العامة والمثقفين أنَّ الإنسان لا يموت جوعاً ونحن كمسلمين وعلى الله سبحانه متوكلين على يقين أنَّ الرزق ملازم للإنسان ويتبعه كأجلِه وهذا لا نشك فيه ولا نتكلم فيه، لكن الإجابة على السؤال موضوع المقال هل الإنسان يموت جوعاً؟

والإجابة نعم ونعم مرةً أخرى ودليلنا ما يحدث في غزة وشاهدهُ أهل غزة ومن ارتقى شهيداً إلى ربَّه سبحانه من أثرِ الحصار الخانق والظُلم الجارف الذي فَرضه الكيان الغاصب على أهلنا هناك وساعده بعض المتخاذلين من أبناء جلدتنا الذين لا نكاد نسمع لهم همساً فَأَعنف ما فَعلوه أن استنكروا وطلبوا من المجتمع الدولي المتخاذل أصلاً والمتواطئ فعلاً مع الكيان أن يتدخل لإدخال المساعدات لأهله وإخوانه الجائعين.

أيُّ ذل هذا الذي نحن فيه وأيّ ضعف وجبن الذي نعانيه، أهلنا وأطفالنا ونساؤنا وشيوخنا يتضورون جوعا ومنهم من يلقى الله سبحانه على ذلك ونحن منا من يرتع ولا يُلقي بالاً والأنكى وأشد مَرارةً من يتبادل تجارياً مع الكيان ويبعث إليه ما نقص عنده من محاصيل وبضائع على أثر الأحداث التي أضعفت الإنتاجية والاستيراد لديه فموقف هؤلاء لا أجد شكاً في نفسي وعند كل حر أَنَّهم يملكون جينات صهيونية ودماؤهم ليست نقية فالعرب قديماً وحتى الكفار منهم في عصر قريش في قصة حِصار النبي ﷺ في شعب أبي طالب وقف منهم من احتج على ذلك الحصار وقال أنأكل ونشرب وبقيةٌ من أهلنا يتضورون جوعاً فقاموا ونقضوا الصحيفة التي أجمعت عليها قريش لحصار

المسلمين، وعندنا في زماننا يلبسون ثوب العروبة ويقفون مع عدو الإسلام وقاتل المسلمين فلا أعلم أيّ صنف أضع فيه هؤلاء المتخاذلين المتكسبين بدماء المسلمين فعليهم من الله المنتقم ما يستحقون .

المهم، إن سَألَنا أحدهم هل يموت أحدهم جوعاً فالجواب نعم؛ عندما يتخلى الناس عن منهجهم وتَحْكُمُهم مصالِحُهُم والاستمرار في مواقعهم ظانين أنَّها خالدة لهم، نعم يموت الشريف جوعاً عندما يتآمر الأنذال عليه، نعم يموت الحر من الجوع عندما يرفض العبودية والاستسلام لعدوه، نعم يموت الصغير والكبير عندما لا نرى إلّا أنفسنا ولا نهتم بإخواننا، نعم يموت الرضيع جوعاً عندما يُفطم الكبار عن الكرامة ويبيعون دينهم بعرضٍ من الدنيا، نعم يموت المسلمين جوعاً لأنَّهم مسلمون ويتخلى عنهم المجتمع الدولي والإنساني الكاذب المزعوم لأنَّهم مسلمون.

تثور ثائرةُ العالم إن تعدى أحدهُم على مصالِحه وتتحرك الجيوش والناتو والمأجورين لإيقاف ذلك التعدي أمّا ما يحدث في غزة فأهلها لا بواكي لهم لكنَّ الله سبحانه معهم وهو ناصرهم ومن رحل عن هذه الدنيا الزائفة فهو حيٌّ عند ربه راضياً بما أعد الله سبحانه له من نعيم ومن هو صابر على أرضه فهو مجاهد وسيلقى إخوانه بأمر ربه في جنات الحق وأمّا عدوه ومن خان الله والمسلمين فسيرى الجوع بحقه في عذابٍ مهين مستمر وسيُسقى من حميم ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون .

***

مالكم كيف تحكمون

يقف العقل حائراً وتتوقف الكلمات عن التعبير في وصف حال هذا العالم في هذا الزمان، هذا الزمان الذي انحاز فيه أكثر العالم بصورة براغماتية مقيتة وبنظرةٍ مصلحية بعيدةً كل البعد في دوره عن كل ما هو إنساني وألقى في أروقة الاجتماعات الوهمية كل قرارات إيقاف ذلك الاعتداء الغاشم الذي يمارسه كيان مغتصب على شعب أعزل، ولماذا نذهب بعيداً فالأقربون تَخَلوا إلّا ببعض الصور الواهية التي لا تسدُ جوعا ولا تَدفع معتديا وكأنَّ الشعب الذي يباد ليس من أهلنا ولا تجمعه معنا ديانةٌ ولا أصول.

سقطت أقنعة العالم وسقط معها كل مُدَّعي الإنسانية والحرية وحقوق كل شيء وكل ما يزعمون وآلاف المؤسسات العالمية ما هي إلّا واجهة لتزيين تلك المدنية المزيفة التي تخدم فئة عن فئة وتُسَخَر لاعتداء الأقوى على الأضعف بحجه الدفاع عنها وتمثيلها، أيّ قالب إنساني أضع فيه تلك الدول التي أباحت ذلك الإجرام ووقفت معه وتوقفت في ذات الموقف عند نصرةِ المظلوم.

المظلوم! تلك الكلمة لا يفهمها هؤلاء، المصلحة هي الأساس وتثبيت ذلك الكيان السرطاني في جسم الدولة العربية الإسلامية والمحافظة على بقائه مُقَدَّم على تلك الأرواح التي أزهقت وتلك البيوت التي هدمت والطفولة التي إمّا قتلت أو يُتمت، لا تقل لي بعد اليوم هناك قانون أخلاقي وقيّمي يحكم العالم فهذا كله محض كذب ومطية يركبونها ليتباهون بها فأنا لا أؤمن إلّا بمنهج رضيه الله سبحانه للعالمين وما سوى ذلك ما وُضع إلا لخدمة من وضعوه.

والأنكى من ذلك إنَّك ترى من بني جلدتنا من يوافق المعتدي ويقف إلى جانب مصالحه الشخصية أو المكانية ويدَّعي كاذباً تعاطفه مع المظلوم وهناك من رضي أن يكون من المُخذِّلين ولبس عمامة الدين وقال هم من أوقعوا أنفسهم عندما بدءوا ألّا يعلم أولئك المُعَلبين كم من الحروب مرت عليهم وكم وقع عليهم من اضطهاد وحصار واغتيالات واعتقالات وحينما كانت هناك فرصة لسداد جزء من دين الاعتداء ورد بعض الكرامة للدول العربية ودفع المعتدي وتلقينه درساً لن ينساه ما بقي في أرضنا المغتصبة وما بقي التاريخ تقفون أيُّها المخذِلون وتقولون ما يرضي المعتدي ويرضي سادتكم فما لكم كيف تحكمون.

وتَالله ليحاسبُكُم التاريخ وأطفال فلسطين وكلُ حرٍ قبل أن يُحاسبكم رب العالمين.

***

التخاذل عن نصره فلسطين

في هذا العالم المتحيز المليء بالتناقض وازدواجية المصالح وغياب العدالة وتحكيم منهج الحق سبحانه، يفقد الإنسان ثقته بكل ما هو عالمي التجمع علماني التوجه كمجلس الأمن والأمم المتحدة وحقوق الإنسان والمحكمة الدولية ومن على شاكلتهم ويؤمن أنَّ الغرب يتعامل بالمصالح ولو على حياة الشعوب وليس للوازع الديني أو الأخلاقي مساحة في قراراته أو تأثير حقيقي طالما تتعارض مع أجندات ومصالح أصحاب القرار وتقديم مصلحه الكيان الصهيوني وهذا على المجال العالمي، أمّا على المجال العربي والمصغر فيكفينا حديث رسولنا الكريم ﷺ ففيه البيان وفيه الحُجّة ومنه يفهم المآل لكل متخاذل، قال ﷺ (ما من امرئ يخذل إمرءًا مسلماً في موطن يُنتقص فيه من عرضه , وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه , وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته . رواه: جابر بن عبد الله وأبو طلحة بن سهل، المصدر الجامع الصغير رقم ٧٩٨٣ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٩٠.

***

أُكذوبة معايير الغرب

نسكب حبر هذه الكلمات وينسكب معها دموع الحال على أهل فلسطين، نكتب هذا المقال ونحن نشاهد الأحداث على أرض فلسطين وغزة الأبيّة ونرى بواقع الحال سقوط الورقة الأخيرة التي تستر عورة الغرب التي تزعم كاذبةً أنَّها أرض الحرية وبوابة العدالة العالمية وحقوق الإنسان.

هذه المزاعم التي طالما صدَّعتنا بها وتفاخرت بأنَّها تحمل أوسمتها وشعاراتها والذي تبيَّن عند الوقائع وعند التحكيم سقوط ذلك كله وتَكَشُّف كذب مزاعم الغرب وتفنيد ادعاءاتهم وكل من ملك قليلاً من صدق أو جزءًا من إنصاف يرى ما يحدث الآن وكيف يباد شعبٌ أعزل وأطفال ونساء أبرياء على مرأى العالم وسمعِه.

والذي هذا العالم بدلاً من موقف المدافع عن شعاراته الكاذبة رأيناه بدماء الأطفال وعجز الكبار يقِف مع الجانب المحتل بانحياز جارف أو استنكار هافت بل ويمنع خروج أفراد من أبناءه في بلادِه حرَّكتهم الإنسانية في مظاهرات سلمية لوقف هذا التمادي الوحشي والمفرط من آلةٍ عسكرية على شعب أعزل حوصر في كل شيء ومُنع عنه كل شيء.

فيا أيُّها القارئ يا أيُّها الدارس لا يغرنك بريق المدنية التي زخرفوا بها أنفسهم فهم يخلون من كل قيّم الإنسانية وجمالها فهذه الدول وعلى رأسها محاكِمُهم وجمعياتهم ولَمِهُم إنَّما وُضعت لاحتكار العالم واحتكار قراراته ودعم المصلحة الذاتية وليس الباقي عندهم

إلّا أتباع وما إشغالهم كراسي في مجلس الأمن إلّا من أجل إكمال العدد المطلوب فكيف يصير العالم بيد خمس دول تتخذ القرار والباقي ليس له يد أو تأثير حقيقي فيها.

أيُّها العاقل أفق من غفلتك فليس ما يمنع تقدمك وتحرر قرارك والاستفادة من إمكانياتك إلّا هو الغرب نفسه وتكالبهم على العالم الإسلامي وبيعهم فلسطين لليهود باتفاقيات سايكس بيكو ووعد بلفور شاهد على ذلك فهم الخصم فاحذرهم وهم العدو فاستعد لهم ولا تنسى بعض من والاهم لمصالح شخصية أو محافظةً على مواقع الاستفادة والمناصب فوجب الانتباه إلى أنَّ الاستخراب القديم لم ينتهِ بعد وإنَّ آثاره وواقعه لا يزال موجوداً ونقول لأهلنا في فلسطين لكم الله هو حسبكم ونعم الوكيل فقد تخلى عنكم العالم ولا يساندكم إلّا كل شريف ومؤمن في هذا العالم المليء بالمصالح.

وإذا حدثوك عن حقوق الإنسان فتذكر غزة..٢٠٢٣/١١/٥.

***

الفيتو

مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة هو أحد الأجهزة الرئيسية السِتة لها ويقع مقره في مدينة نيويورك ويُعَد المسؤول عن حفظ السلام والأمن الدوليين وتشمل سلطاته حفظ السلام وفرض عقوبات دولية والسماح بقيام عمليات عسكرية.

ولمجلس الأمن هذا الهيئة القادرة على إصدار قرارات تلزم الدول الأعضاء وقد تم تأسيسه في العام ١٩٤٥م، وقد تم تأسيس الأمم المتحدة وما تفرع عنها بعد أحداث الحروب العالمية والأحداث الجسام التي طالت أكثر دول العالم فرأى القائمين من الدول المؤسِسَه وجوب قيام مثل هكذا مجلس تحت ظل الأمم المتحدة الذي وضع خمسة من دول العالم أنفسهم كأعضاء دائمين لا يسري أي قرار يتم اتخاذه إلّا بموافقتهم جميعاً ويحق لأي طرف من الأعضاء الدائمين وهم الصين وفرنسا وروسيا والمملكة المتحدة والولايات الأمريكية المتحدة أن يرفض تمرير أي قرار بحق النقض الذي أعطوه لأنفسهم وهو الفيتو.

بمعنى أنَّ الفيتو هو الممانعة عن سريان أي قرار يتم التشاور والتصويت عليه، فحتى لو أجمع جميع الأعضاء العاديين على قرارٍ ما فواحد من هؤلاء يستطيع إيقافه بحق النقض(الفيتو) الذي يملكه، وهنا يحق لنا ولكل عاقل أن ينظر للموضوع من زاويتين الأولى هذا المجلس الذي ساهم في إيقاف بعض الحروب ونشر السلام كما يزعم والزاوية الأخرى وهي المؤلمة هنا هي كيفية تحكم احد هؤلاء الأعضاء بمصير الشعوب وتقديم المصلحة الذاتية على مصير الكل ولنا شاهد عيان فقد تم التصويت لتمرير قرار

إيقاف الحرب على غزة قبل أيام من كتابة هذا المقال وتم تقريباً التصويت بالإجماع الكامل على وقف العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد غزة فوقف المندوب الأمريكي ضد هذا القرار ومنع الموافقة عليه.

ولو رأينا بعين الدراسة لوجدنا مثل هذه الحادثة تكررت عشرات المرات ضد القرارات التي تدين الكيان الصهيوني ولرأينا أيضاً كيف أنَّ مجلس الأمن والأمم المتحدة أصبحت أداة في يد الأقوى والقطب الأمريكي وليس لأحد أن يحاسبه بل والأنكى أنّ هذه الدول الدائمة العضوية لها تاريخ من عدم تنفيذ التوصيات وقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة ذاتها فأصبح الأمر كأنَّهم يلبسون ثوب السلام وهم ذاتهم من أساؤوا للبشرية ولإقرار السلام فعاثوا في البلاد الفساد والتبعية ودعم من وما يَصُب في مصالِحهم ولو كان على حساب الشعوب ولننظر إلى قارة إفريقيا وبعض دولها وكيف هو التوغل الفرنسي في مقدراتها والتدخل في سياساتها الداخلية ولننظر لأمريكا وحروبها على العراق وقتلها الملايين من البشر بحجج كاذبة وزعم غير صحيح ودعمها الكامل لإسرائيل في كل محفل ومجال، ولننظر لاضطهاد المسلمين في الصين ولننظر لقتل السوريين بالقصف الروسي ولننظر للثعلب العجوز المملكة المتحدة وكيف تتدخل في سياسات العالم ودعمها مع بعض الأعضاء إسرائيل بعد زراعتها لها مسبقا فهي لم تُكَفِر عن خطاياها بل استمر الدعم للآن وما بعد الآن.

الشاهد من كلامنا هذا وما يسطرهُ الواقع أنَّ هذه التجمعات المزعومة ما وجدت لنا وإنَّما وجدت كغطاء دبلوماسي وعالمي لتمرير المصالح وللسيطرة على العالم وضرب

من يخالف أو أن يحاول أن ينهض لينافس فإذا مُسَت بلادهم أقاموا الدنيا وأقعدوها وغيرهم من عديد بلدان لا يُأبه لهم بل تتعالى كلمات الشجب والإنكار فقط وشاهِدُنا نراه بحالنا كمسلمين وكعرب ورآه أهلنا في فلسطين من عشرات السنين ولا يخفى هذا إلّا على من فقد عقله أو أعلن خنوعه وتبعيته.

***

تصنيف الدول

في هذا العالم المترامي الأطراف قد تباينت المجتمعات وظهرت الطبقية العالمية بشكل واضح وأخذ تصنيف الدول يأخذ المعنى المقبول والمتداول بين الدول فنرى ذلك المنتسب للدول الفقيرة أو النامية يُصنف ضمن إطار دولته تحت مسمى الدول المتخلفة أو دول العالم الثالث ويتم التعامل معه بناءً على ذلك التصنيف ونرى ذلك جلياً ويراه هو بنفسه معاملةً أو حين السفر وفي أي حدث يتعرض له خارج دولته وحتى داخلها.

وأحياناً حتى دولته تعامله دون المستوى المطلوب أو حتى قريباً لمستوى الدول المتقدمة زعماً ومن كان في تصنيفها فبعض القوانين والأجهزة التابعة لها تتصرف كأنَّها ذراع لتنفيذ تلك التصانيف والعمل على ترسيخها عملياً بدلاً من رفع أفراد المجتمع ومكانته بين الدول وتسويق الكفاءة الداخلية للأفراد وتقديم الدعم اللازم للارتقاء العام والتقدمية على كل مستوى والعجب الواقع هنا أنَّنا أنفسنا -وليس الجميع من باب الإنصاف- قد رضينا بهذا التصنيف ووضعنا أنفسنا على سلم القياس والتفاضل الأدنى مع الغير فكانت بذلك عندنا الشخصية دوناً عن المستوى المطلوب والحقيقي فعلاً.

فالقيَّم والأخلاق والمنهج الموجود أصلاً يرفع الإنسان إلى أعلى السلم في القياس والتفاضل لكن تقديم المدنية والمادية أصبح رادعاً دون تحقيق ذلك وتلك التبعية الظاهرة شاركت في ذلك كشدٍ عكسي يحول دون الارتقاء الشخصي وارتفاع الأنا الاجتماعية قياساً مع الغير.

لو رجعنا قروناً في عمر الأمم لرأينا بحقٍ لا ينكره المنصفون من خارج أُمتنا دوناً عن أنفسنا كيفَ كنا الأوائل في كل جميلٍ ومحمود وكيف كان من يملك قلم التصنيف ومسطرته الآن احتكاراً جائراً في ذيل الحضارة والارتقاء، فقد كنا نحمل مشاعل النور للعالم وننشر الضياء للبشرية بالدعوة للخير والخيرية فدعوتنا للحق ومنهج الحق تفرض علينا إخراج الغير من الظلمات لنور الهداية وحب الخير للغير وألّا نحتكر ذلك لأنفسنا وكيف قدمنا للعالم أسس كل قانون يحمل الكمال للعدالة والارتقاء وحماية النفس والروح وكيف قدمنا للعالم أساس كل تقدم مادي وعلمي نافع للبشرية قاطبة والذي تمت سرقته ونُسبَ زوراً إلى غير أهله وشواهد ذلك ودلائله أكثر من أن تُحصى وشواهده المادية قائمة في بلاد العالم الذي دخلته تلك الدعوة ولا تزال في قوانينه وتشريعاته ما لا يصلح بالشكل الأوفى والأشمل إلّا ما كان أصله من تشريعنا وتراثنا.

ذلك المنهج الحق الذي لا يستطيع أي جهد أو دعاية مضادة أو تضليل أن يُخفي كماله وخلوه من عيوب الحاضر ذي الاجتهاد البشري غير المعتمِد على أصول ثابتة وصحيحة.

وفي الجهة الأخرى نرى ذلك الاحتكار من الطرف الآخر وَوضع العراقيل التي تحول لتقدم من هم أقل منهم مدنياً حسب زعمهم وتضع وتصطنع كل ما يساهم في اتساع الهوة بين هذه الطبقات العالمية التي صنعتها أيديهم ليحافظوا لأنفسهم على التحكم بمقدرات الشعوب وإضعاف أي قوة قد تنافسهم مستقبلاً أو آنياً، والاستعمار وسرقه الثروات واحتكار القانون العالمي والهيئات العالمية ومجلس الأمن والبنك الدولي

وغيره من كثير أدوات لتنفيذ مرادهم دليلٌ لا ينكره عاقل أنَّهم أصحاب ايدولوجيا تَحكُّم وإستخراب عالمي.

***

الفقراءُ أجمل قلوباً

في زحام هذا العالم المتضارب بالمصالح والمتشقِق بالعلاقات النفعية وتقدم القياس المادي على النقاء القيَّمِي والارتقاء العاطفي والإخلاص الوجداني ترى الإنسان يقع في دائرةٍ من الحيرة في إيجاد طعم الصدق في تقاطع الدوائر الاجتماعية من حيث التعاملات الاجتماعية والتداولات العامة.

وليس هذا نقداً جامداً أو تعديا سافراً وادعاءً بلا واقع فالناظر لتكرار الحوادث التفاعلية بين الناس يرى تلك الصورة ويحسُ بها واقعاً ملموساً للأسف، والذي حرك تلك المشاعر وحرك معها جمود القلم لكتابةِ هذا المقال تلك الحادثة البسيطة التي واقعتها قبل فترة من إمساكِ قلمي وتثبيت أوراقي، وهو أن طَلب مني أحدهم الاستفسار عن دواء لغرض إنساني يوفِرُه لمحتاجِه ليس مجاناً بصراحة لكن بثمن أقل من سعره الخيالي في بلادنا فوجدناه في مكان آخر بعيد وراسلت العديد ليساعدوني على تأمين هذا الدواء وما كان الرد السريع إلّا من أضعفهم حالاً وأقلهم مالاً فنظرت لجمال كلماته وهو يراسلني ويقول لي حاضر سوف أبذلُ وسعي وبالفعل وجدَ المطلوب وأبلغني بأنَّه سيحاول تأمينه لمحتاجِه فور استطاعته مع علمي ويقيني أنَّ ثمنَ الدواء يعادل راتب شهر لصاحبنا أمَّا كثير من أصحاب الإمكانيات فتناولوا الموضوع على التراخي ووضعوا تلك الخدمة الإنسانية على قائمةِ الانتظار كحال الكثير ممن أعرِف ويعرف قارئ هذا المقال.

فزاد يقيني على أَنَّ الفقراء هم الأجملُ قلوبا والأخلصُ بذلاً والأوسعُ جهداً إن كانوا على صحيح إيمان وسمو أخلاق، ويساندُ كلماتي هذه واستنتاجاتي كثيرُ شواهد

واقعية على مدار سنون العمر وتجارب الغير أيضاً مما يؤكد ذلك، فعندما تملك المال الكثير يكون من يُصاحبك كثير ومحبيك أكثر ولو طلبتَ من أحدهم شيئاً قدَّمه لك بكل صدرٍ رحب لكنك إن كنت فقيراً قليلَ المال ذهب عنك أصحابك وقلَّ محبيك، والحكمة التي لا ينكرها عاقل أَنَّه إن قل ما معك عرفتَ من معك، والناس تميلُ إلى من عندهُ مال، فالهم أغنِنا من فضلك وأدهشنا بعطاءِ كرمك.

***

موضوع تعبير (رسالة إلى صديق)

طُلب من ولدي في مدرسته كتابة موضوع تعبير وطَلب مشورتي، وكان من أحد الخيارات المتاحة موضوع بعنوان رسالة إلى صديق تُخبره فيها بنجاحك في التوجيهي، وكان هذا الخيار الأنسب والأخف حملاً في الكتابة على الطالب، لكن اختلط الموضوع عندي مع ما في نفسي من أحزان وشجون فكان الموضوع التعبيري يجمع كثير جوانب مع الموضوع الأصلي البسيط وذلك بأنَّ القلم والخاطرة والقلب تَوَجه لكتابة رسالة إلى صديق في غزة ومع أنَّ الشخصية هناك قد تكون وهمية في المعرفة لكنها حقيقية في الشعور والصورة الضمنية للموضوع والذات.

بدأت الرسالة بعنوان الصديق وهي إلى ذلك البيت المُهدَّم الذي كان سابقاً عنواناً مادياً وقصة حياة لأفراد تشاركوا في السكن وتشاركوا في المحبة والآمال والأحلام يجاوره مكان معلوم ليسهل الوصول إليه والدلالة على مكانه أمّا الآن فهو أطلال بجانب رُكام جراء ذلك الطغيان من الكيان المحتل، أصبح بلا ملامح تدل عليه لكن ذكرياته وأحداث ذهابه مَعْلَمْ يعرفه كل شريف وكل حر في هذا العالم خاصة أصحاب الأرض وحاملي رواية الحق والمدافعين عنها نعم هذا البيت في قلب كل مسلم وفي وجدان كل إنسان يملك مخزونا من الكرامة.

بَدأَ موضوع التعبير بعنوان مبهم كمكان، معروف ككرامة وارتباط، ثم بدأت حبكة الموضوع والسلام وجميل التحيات وتمني الأمان والسلامة لذلك الصديق في كل مكان في غزة والذي ربما كان شهيداً أو أسيراً لحظة كتابة موضوع التعبير، نعم ربما كان

قد ارتقى كما ارتقى الآلاف من الأصدقاء دون أن نخبرهم بخبر الموضوع ولم نعرف منهم نتائجهم هم التي توقف التدريس عندهم بل واستشهد المدرس وهُدِّمت المدرسة قبل تقديم الامتحان حتى .

وخلاصه الرسالة أنَّ النتائج هنا خرجت وفرحنا بها فرحة البسطاء بالقليل في هذا الزمان المليء بالأحزان وأمّا نتائج أصدقاءنا في غزة فقد نالوا الشهادة شهادة الآخرة وليس ورقة الدنيا فهنيئاً لولدنا نجاحهُ في التوجيهي وهنيئاً هنيئاً شهادة فوز الآخرة لصديقنا في غزة تلك الشهادة التي كتبها له ربنا سبحانه واختاره في عليين وشتّان بين شهادة الدنيا وشهادة الآخرة.

***

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
طليعة الكتاب	٥
تعريفات في مقال	٧
ستي (بهية)	١٥
الأب	٢٠
لو عادت بنا الأيام	٢٢
حوار مع القلم.....	٢٤
حقيقة العلاج بالطاقة ومشروعيتها.....	٢٦
وحدة الوجود.....	٣٢
لماذا نحزن.....	٣٨
الشخصية الإسلامية والمشاركة المجتمعية.....	٤١
العلاقات المصلحية.....	٤٦
لغة المادة والمال.....	٥٠
ضعف دور العلماء في العصر الحديث.....	٥٣
الصدود عن الحق.....	٥٧
أصنام الجاهلية وأصنام الغرب.....	٦٢
الأقلام المأجورة.....	٦٥

الحداثيون.....	٦٧
الغزو الفكري.....	٧٣
مركز تكوين الفكر العربي.....	٧٩
الأصول والحداثة.....	٨٢
النسوية.....	٨٥
القيم الدخيلة.....	٨٧
الإلحاد وتلاشي قيم الأخلاق.....	٨٩
انتشار السفور.....	٩٥
ثقافة الوجبات السريعة.....	٩٩
هل الكتاب الورقي يحتضر.....	١٠٢
هجرة الكفاءات ونظرية الحمار.....	١٠٤
وظيفة الشباب العربي بين الطموح وصدمة الواقع.....	١٠٧
هل اقتربت معركة حطين الثانية.....	١١٠
طوفان الأقصى.....	١١٣
دروس من طوفان الأقصى.....	١١٥
في غزة يولد الأطفال شهداء.....	١١٧
هل يموت الإنسان جوعاً.....	١١٩
مالكم كيف تحكمون.....	١٢١
التخاذل عن نصرة فلسطين.....	١٢٣

أكذوبة معايير الغرب.....	١٢٤
الفيتو.....	١٢٦
تصنيف الدول.....	١٢٩
الفقراء أجمل قلوباً.....	١٣٢
موضوع تعبير (رسالة إلى صديق)	١٣٤
فهرس الموضوعات	١٣٦

***

تم الانتهاء من تدقيق هذا الكتاب

بتاريخ ٢٠٢٤/١٠/٧

وبقدر الله كان في نفس تاريخ الذكرى الأولى لطوفان الأقصى

وهناك العشرات في العقل من مقالات وفي النفس من كلمات،

لكن الصدق أن الأرض قد ضاقت علينا بما رحبت وتعابيرنا عن الخواطر قد جمدت تأثراً

لما يحصل في فلسطين

وبما أصاب لبنان من توسع اعتداء يهود وغيره مما لا تقوى الحروف على رَسمه.

محمد بن فوزي الجبالي

الأردن – عمان – ٢٠٢٤/١٠/٧

qmmmq٢٠٠٢@gmail.com

***